من نوادر التراث المغربي في موضوع
كرامات الصحابة:

«السلك المثنى النظام
بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام
من الكرامات المكرمات العظام»

(لأبي محمد الحسن بن علي ابن القطان المراكشي

«من علماء القرن الهجري السابع»)

ذ. مصطفى عكلي

مُلَخّصُ البَحْث

الحمد لله الذي فاضل بين عباده المؤمنين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وصحبه الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنّ التأليف في الصحابة رضي الله عنهم بدأ مبكرا؛ إذ كان علماء الحديث النبوي والمعتنون منهم خاصة بالتأليف في علم الرجال أول من قصد الترجمة لصحابة رسول الله ﷺ وكان غرضهم ذكر ما روي عنهم، وتعيين من تشرّف بالأخذ عنهم.

ثم ظهرت مصنفات خصّت الصحابة الكرام بتآليف مفردة، وقد اشتهر منها كتاب ابن عبد البر النمري(463هـ)، الموسوم بـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، وكتاب أبي الحسن ابن الأثير(630هـ) المحلى بـ «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، وكتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني (852هـ) الموشح بـ «الإصابة في تمييز الصحابة»، وهذه الكتب اعتنت بالتعريف بالصحابة، وذكر بعض أخبارهم وشيء مما روي عنهم.

ولعل من نوادر الكتب وأعلاق النفائس التي سارت على سَنن ما ذكر قبل وزادت عليها بذكر فضائل الصحابة وكراماتهم كتاب «السِّلك المثنى النِّظام بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام من الكرامات والمكرمات العظام» لأبي محمد الحسن ابن الشيخ الحافظ المحدث الشهير أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله القطان الفاسي (من علماء القرن السابع الهجري)، ورغم طرافة هذا الكتاب واستقلال موضوعه؛ فإنه لم يحظ بعد بأي عناية من طرف الباحثين والدارسين، ولهذا فإن البحث الذي أتقدم به لندوتكم المباركة سيكون في التعريف بهذا الكتاب، وبيان منهج مؤلفه وموارده بما يعرّف الباحثين بكنز من كنوز تراثنا التي طالها النسيان، والله الموفق.

الباحث في سطور

الأستاذ مصطفى عكلي Ibnmbark_@hotmail.fr

- من مواليد عام 1978/06/03م بتمكروت إقليم زاكورة.
- باحث بمركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء.
- دبلوم الدراسات العليا المعمقة بكلية الآداب ابن زهر ـ أكادير، بعنوان: «مرويات علامات النبوة بعد نزول الوحي على رسول الله ﷺ»، من خلال الطبقات الكبرى لابن سعد ـ من غير طريق الواقدي ـ دراسة وتخريج.
- مسجل بسلك الدكتوراه في الوحدة المذكورة.

✍ دراسة وتحقيق كتاب «الفصول في أركان الإسلام» للإمام العلامة المحقق ناصر الدين محمد بن الحسن اللّقاني المالكي (ت 958هـ).

✍ التعريف بما طبع من سيرة النبي الشريف، بالمشاركة مع طلبة الفوج الثالث في وحدة السيرة النبوية، إشراف الدكتور: عبد اللطيف الجيلاني.

✍ رسالتان في السيرة النبوية والمولد الشريف لأبي جعفر الرعيني وابن جابر الأندلسي الضرير، نشر مركز ابن القطان بالعرائش التابع للرابطة المحمدية للعلماء، 2011م.

✍ كتاب: اللمع من أدب الطالب، لأبي العباس التدمري(ت555هـ)، قيد الطبع.

✍ المشاركة في إنجاز ومراجعة الأعمال العلمية التي أصدرها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث.

✍ المشاركة في تنظيم ندوات وملتقيات علمية.

تمهيد

الحمد لله الذي أيّد نبيه المصطفى ﷺ، بالآيات البينات، والمعجزات الباهرات، والبراهين الواضحات القاطعات، والصلاةُ والسلامُ على رسوله المبعوث رحمة لأهل الأرض والسماوات، وعلى آله وصحبه المشهودِ لهم ببلوغ أسمى الدرجات، واستحقاق أعلى المقامات؛ خيرِ الخلق بعد الأنبياء أصحاب الرسالات، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الميقات، أما بعد:

فإن المغاربةَ جُبِلوا على حبِّ صحابةِ رسولِ الله ﷺ وتوقيرِهم، واحترامِ خصوصياتهم وأسبقيتِهم، والعض بالنواجذ على كلِّ ما شهد لهم به المولى عز وجل، وبيّنه وفصّله حبيبه المصطفى ﷺ، ففي القرآن الكريم آياتٌ كثيرة تقطع برضا الله عز وجلّ عن صحابة رسول الله ﷺ، وفي السنة النبوية المشرفة جمهرة من الأحاديث تؤكد ذلك.

والمغاربةُ بفعل تعلقهم الوطيد بكتاب الله عز وجل، وتشبثهم القوي بسنّة رسول الله ﷺ، لم ولن يخرجوا عن سياقِ الفهم الصحيح لهما، والاتباعِ الصريح لما تنطوي عليه معانيهما، فهم يقرؤون آناء الليل وأطراف النهار آياتٍ بيناتٍ من مثل قوله عز وجل: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ أَلْأَوَّلُونَ مِنَ أَلْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصارِ وَالذِينَ إِتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ أَللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِے تَحْتَهَا أَلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداًۖ ذَٰلِكَ أَلْفَوْزُ أَلْعَظِيمُ﴾[1]، وقوله: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ أَللَّهُ عَنِ إِلْمُومِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ أَلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِے قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ أَلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَاخُذُونَهَاۖ وَكَانَ أَللَّهُ عَزِيزاً

---

(1) سورة التوبة: الآية 100.

حَكِيماً ﴾[1]، ويستظهرون ـ أي المغاربة ـ أحاديثَ صحيحة مثلُ قولِه ﷺ: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[2]، وقوله: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذَهَبا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نَصِيفَه»[3]. وقد وَجَدَت معاني هذه الآيات والأحاديث مكانَها في قلوب المغاربة على مرّ التاريخ، وجسدوها بأفعالهم وأعمالهم، وما هذه الندوة المباركة إلا حلقة من ذلك التاريخ، ودليل واضح على استمرار هذا القطر الكبير على نهج سلفه وأثره.

والحاصل أن حبَّ الصحابة وتوقيرَهم ركن ركنين وعقيدة راسخة ذات أساس متين لدى المغاربة؛ خلفٌ عن سلف، وصغير عن كبير.

ومن تجليات هذا الحبِّ المتأصل، والإرث المتأثل، توجُّه من نَفَرَ من أهل الغرب الإسلامي للعلم إلى وضع مؤلفات تُعنى بتسجيل سير الصحابة الكرام، وتقييد فضائلهم ومناقبهم، وتخليد مآثرهم وحفظ آثارهم، ومنها ما عُني بالذَّبِّ عن حياضهم، والرَّدِّ على مُبغضيهم ومُتَنقصيهم؛ ذلك أن علماءَ الغرب الإسلامي على غرار نظرائهم في المشرق الإسلامي على علم تام بمنزلة الصحابة ومقامهم، فَهُم حملةُ الوحي عن رسول الله ﷺ، والمستأمنون على سنته، والناقلون لدينه وشريعته، والمبلِّغون لدعوته، والسابقون الأولون إلى كل فضل، والفائزون برضا ربهم عز وجل، وصحبة رسوله ﷺ.

---

(1) سورة الفتح: الآيات 18 ـ 20.

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه(7/ 7 مع الفتح)، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، الحديث رقم(3651)، ومسلم في صحيحه (4/ 1962) في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم الحديث(2533).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (7/ 21 مع الفتح)، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلا»، الحديث رقم(3674).

ويعدّ أبو محمد ابن القطان المراكشي من أبرز علماء المغرب الذين ضربوا بحظ وافر في التأليف في موضوع الصحابة، بل هو من أفراد علماء القرن الهجري السابع، الذين جنحوا إلى إفراد فضائل الصحابة وكراماتهم بدواوينَ جامعة، ومصنفاتٍ جليلة بديعة، والتي من أهمها كتاب «**السِّلْك المثنى النَّظَام بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام من الكرامات المكرمات العظام**» وهو محور هذا البحث الساعي إلى التعريف به من خلال وصف أصله الخطي، وذكر الباعث على تأليفه، وبيان موضوعِه، وسَوْقِ بعض ما ألف على منواله، وتحديد مواردِه، واستخراج منهج مؤلفه فيه، ويتقدمُ هذا: الاستفتاحُ بنبذة مختصرة عن صاحبه، ويعقبه الختم بأهم ما تم استنتاجه في عرضه. وأسأل الله التوفيق والسداد، والهدايةَ إلى سبيل الرشاد، آمين[1].

(1) ثمة جوانب أخرى يمكن الحديث عنها في هذا البحث غير أنه لضيق الوقت اقتصرت على ما ذكرت، وأنا على يقين أن الزميل الأستاذ الحسن البربوشي، الذي وفقه الله ليشتغل بتحقيق هذا الكتاب في أطروحته، سيعمل بإذن الله على بحث جميع الجوانب بما في ذلك ما أعرضه منها هنا.

⊛ التعريف بالمؤلف

إذا كان من نوادر المؤلفات ونفائس المصنفات ما لا يُكتبُ له انتشارٌ ولا اشتهار، وقد يحدث ألا تبرحَ مكانَها حتى تصير إلى الزوال والاندثار، فإن من العلماء من دفنت معهم سيرهُم، لا أنهم ليسوا ممن يُحتفى بهم ويُحتذى، ويؤخذ من علمهم ويجتبى، بل لأن تخليدَ مآثرهم، وتسجيلَ آثارهم إما غفلَ عنه المترجمون، أو قضت على سِجِلَّاته الأيام والسِّنُون. مما أدى إلى غمط حقّ طائفة من العلماء، وخلط كثير من سير الفضلاء، والغلط في نسبة كتبٍ ومصنفات إلى غير مصنفيها حتى على المحققين النبهاء.

وأبو محمد ابن القطان أحدُ الأعلام المبرزين، والمؤرخين المتميزين، الذين لحقهم بعض ما ذكر؛ فالباحث عن ترجمته لا يظفر بها مسترسلَة في كتاب، وإنما يعثر على إشارات وعلامات شديدة الاقتضاب، ولا تَسلَم هي الأخرى من الخلط والغلط الذي يدعو إلى الشك والارتياب. والمبتغي معرفةَ آثار أبي محمد ابن القطان وإنتاجِه قد يعيا في إيجاد مطلوبه، وربما يصل إلى شيء من مرغوبه، ومن هنا تتناثر علامات الاستفهام ويطرح السؤال عن شخص أبي محمد ابن القطان، وعن سيرته وحياته.

فهذا العلامة المؤرخ المنقب البحاثة عميد المؤرخين المغاربة المعاصرين محمد بنشريفة حفظه الله وعافاه ـ وهو المتخصص في ترجمة غير المعروفين، ونفض الغبار عن سِيَر كثير من الغابرين والعلماء المغمورين ـ يقرر في مقدمة تحقيقه للجزء الأول من السفر الثامن من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي(ت703هـ) وهو يستعرض مراجع شيوخ هذا الأخير؛ وصاحبنا ابن القطان منهم ما يلي: «لم نقف له على ترجمة، وتوجد إشارات في الذيل والتكملة، والبيان المغرب، ومفاخر البربر، والدوحة

المشتبكة، ومخطوط الخزانة العامة رقم(1275 ك ص25) ولا بد أن ابن عبد الملك ترجم له في السفر السابع المفقود؛ لأنه دخل الأندلس كما يدلّ على ذلك هذا النص الموجود في الدوحة المشتبكة»[1]. فساق النص.

وقد أحال الدكتور بنشريفة في كلامه هذا على الدكتور محمود مكي محقق كتاب نظم الجمان لابن القطان، والذي أحال بدوره على كلام الأول في مقدمة تحقيقه للكتاب المذكور، طبعة دار الغرب الإسلامي سنة(1990م)، وأضاف قائلا: «ولو بقيت ـ يقصد ترجمة ابن عبد الملك لشيخه ابن القطان الابن ـ لكانت... من أغزر تراجمه مادةً وأدقها تصويراً لشخصيةِ شيخهِ وتسجيلا لجهوده العلمية»[2].

ولا يسعني بعد هذا الذي توصل إليه الأستاذان ووقفتُ على حقيقته فيما رجعت إليه من مظان، إلا أن أتتبع ما في الكتب من تلك الإشارات، والتقط ما أراه خادما لما أنا فيه؛ لأضع بين يدي القارئ نبذة مختصرة عن أبي محمد ابن القطان وعن حياته وبعض ما ساوق ذلك. فأقول مستعينا بالله:

هو الحسن بن الحافظ المحدث الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالملك ابن يحيى ابن محمد بن يحيى بن إبراهيم بن خلصة بن سماحة الحِميري الكُتامي، القرطبي الأصل، المراكشي الدار، يعرف كأبيه بابن القطان.

كنيته أبو محمد، وكنّاه صاحب مفاخر البربر[3]: أبا علي، وكذا ورد في بعض نسخ كتابه الإحكام الآتي ذكره، وبالكنية الأولى شُهِر، فقد كناه بذلك تلميذه ابن عبد الملك

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول(ص:138) مقدمة المحقق.

(2) نظم الجمان (ص28) مقدمة المحقق.

(3) مفاخر البربر(ص171).

المراكشي في غير موضع من كتابه «الذيل والتكملة»، وابن عذاري في «البيان المغـرب»، وهو ما صرح به ناظم كتابه «الإحكام» الحسن الرهوني حيث قال:

أبـــو محمـــد ويُـــدعى حـــسنا ولـم يـزل يـصنعُ شـيئا حـسنا[1]

عاش أبو محمد ابن القطان في عصر تعاقبت فيه على حكم المغرب دولتـان كبيرتـان، همـا الدولة المرابطية والدولة الموحدية، وقد وَجَد المترجم نفوذ دولة الموحدين قد اتسع وامتد، وسلطانهم قَهر الخصوم واستبد، وهذا مـا فصلته كتب التاريخ وجرت به أقلام المؤرخين. ورغم الولاء التام الذي عُرف به بيت ابن القطان لدولة بني عبد المؤمن فلـم تكن الحياةُ أمـامَه مستقرة آمنة، بل تعاقبت عليه ـ كمـا على الدول ـ أيـام مـنح ومحـن، وكانت له رياسة ومجد، وغنى ويسار، ومرت عليه ظروف ضعف وانكسار. فقـد كـان أبوه أبو الحسن ابن القطان «معظمـا عند الخاصة والعامـة مـن آل دولـة عبـد المـؤمن، حظي كثيرا عند المنصور منهم فابنه الناصر فالمستنصر ابن الناصر فأبي محمد عبدالواحد أخي المنصور ثم أبي زكرياء المعتصم ابن الناصر حتى كان رئيسَ الطلبة ـ و هم من أعلى طبقات الدعوة الموحدية ـ، مصروفة إليه الخطط النبيهة مرجوعـا إليـه في الفتـاوى»[2].
وكمـا أغدقت الدنيا على بيت أبي الحسن ابن القطان بنعيمها في أيام من ذُكر من الأمراء والخلفاء، فإنها رجعت لتسترد مـا أعطت وتُبلي مـا كـست؛ إذ خـصَّه مـا عـمَّ النـاس خلال سبعة أعوام عجاف توالت على مراكش، ومـا صاحب ذلك مـن شـدة وتنـاهٍ في غلاء الأسعار؛ وذلك ـ كمـا يقول ابن عبد الملك ـ لكثر عياله، وانقطاع مواد الفوائـد عنه بعطلته عن الأشغالِ التي كان ينتفع بها ومنها. وذكر ابن عبد الملك قبل هذا السببَ المباشرَ في الحال التي صار إليها البيت القطاني وهو نقمة الخليفة أبي محمـد ابـن عبـدالله

(1) نظم الدرر في ترجيز كتاب الإحكام من آي خير الأنام(1/ 143) البيت (42). وقد طبع هـذا الكتـاب مؤخرا بتحقيق خديجة البدوي. وقفت عليه قبيل طبع هذه الندوة أي بعد إنجاز عملي.
(2) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص169).

العادل ابن المنصور على صاحبه، بعد أن تولى هذا الأخير الحكم لما خُلع عمُّه أبو محمد عبدالواحد أخو المنصور الذي قتل غدرا، وهذا كله بعد اختلاف أهل الحلِّ والعقد في مَن يُقلدُ الأمرَ لما توفي أبو يعقوب المستنصر، فأشار فريق منهم بتقديم العمِّ لحزمه وصلاحه، بينما أشار فريق آخر بتقديم ابن الأخ، وكان ميالا إلى البطالة، والإخلاد إلى الراحة، وكان أبو الحسن ابن القطان حاضرا لأمر الشورى فأنشد متمثلا ومنبها على التفرقة بينها:

إذا رَتَّلَ القرآنَ في جُنْحِ لَيْلِه ⁂ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ لم يُغَن مخارق

فهذا الذي كان سبباً في الضيق الذي مَسّ البيت القطاني على ما حكى أحد أبنائه وهو مترجِمُنا[1]. ويضاف إلى هذا تضعضع حكم الموحدين عامة، ودخول دولتهم في مرحلة مدّ وجزر؛ لأن سُنّة التداول لم ولن تخطئها؛ إذ عصفت عليها رياح بني مرين من جهة، واقتطع جزء من دولتهم من طرف الحفصيين من جهة ثانية، وتكالب النصارى على بلاد الأندلس، كما نشبت الثورات وعمّ الفساد. ومجال تفصيل هذا أيضا كتب التاريخ التي عُنيت بأخبار الدولة الموحدية.

وما قيل عن عصر ابن القطان الأب في الجانب السياسي والاقتصادي وما يتعلق باتصاله بدولة بني عبدالمؤمن يقال كذالك عن عصر ابن القطان الابن في عهد من عاصرهم واتصل بهم من الخلفاء، وبخاصة مدة حكم الخليفة أبي حفص عمر بن أبي إبراهيم بن أمير المؤمنين أبي يعقوب بن يوسف بن الخليفة عبد المؤمن وهو الملقب بالمرتضى، غير أن الابن سَلِم من كثير مما لَحَق أباه من محن وأزمات، وإن لم يكن مُعْفًى من تأثيرها المباشر وغير المباشر.

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص:173 ـ 175) بتصرف.

وإذا كان هذا هو حال الجانب السياسي والاقتصادي وتأثيرُه على البيت القطاني، فإن الجانب العلمي على نقيض ذلك؛ إذ كان لابن القطان الأب والابن معا في كل أطوار الدولة الموحدية وما كُتب لهما أن يعيشاه في ظلها من عقود وسنين أن يتبوأ المكانة الرفيعة، والدرجة الحصينة المنيعة، ذلك أن خلفاء الدولة الموحدية وأمراءَها كانوا قد فسحوا المجال للعلم والعلماء، وأعلوا من قدرتهم وشأنهم، وعرفوا حقّهم ومنزلتهم، وهذا ما كان حافزا قويا لكثير من العلماء والفقهاء لِشَدِّ الرحال إلى دولتهم، والتعلق بأهذاب سلطانهم، وهكذا ـ وكما يقول محمد العابد الفاسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ «ظهرت بالدولة الموحدية حركة علمية جديدة، وانتشر التأليف والتدوين، وتقرب أهل العلم والأدب للدولة الجديدة بنتائجِ قرائحهم، ونفيس تعاليقهم وموضوعاتهم، وتمتنت العلائق أكثر من ذي قبل مع الأندلسيين، وكَثُرَتْ هجرةُ هؤلاء للمغرب واستوطنوه ونشروا فيه علومهم وأفكارهم وأدبَهم الرائع، وانتقل المغاربة إلى الأندلس بقصد أخذِ العلم عن شيوخه، والارتواءِ من مناهل حياضهم الفياضة، فنشأ عن جميعِ ذلك مزيجٌ من رقة الأندلسيين وخفة أرواحهم، وصراحة المغاربة وتوقد أذهانهم»[1].

ولن أكون مبالغا إن قلت وكما أسلفت أن ابن القطان الأب والابن كانت لهما حظوة خاصة لدى سلاطين الدولة الموحدية، فالأب متصدر لتدريس طلبة الموحدين؛ وَهُم المعول عليهم في نشر دعوتهم وبثِّ أفكارهم؛ وهو الموصوف في زمانه بالحفظ والإتقان، والمعرفة بعلوم الحديث رواية ودراية، وقد أقرّ له بذلك القرين والمعاصر، ولم يُخْفِهِ الخصم فَضْلاً عن الناصر، واستشفه المطالع لكتبه العديدة، ومقالاته الفريدة، فهذا ابن عبد الملك يصور بعضا من هذا فيقول: «كان ذاكراً للحديث، مستبحرا في علومه، بصيرا بطرقه، عارفا برجاله، عاكفا على خدمته، ناقدا مميزا صحيحَه من سقيمه،

(1) الخزانة العلمية بالمغرب (ص11).

مثابرا على التلبُّس بالعلم، وتقييدِهِ عُمرَه، وكَتَب بخطِّه على ضعفه الكثير، وعُني بخدمة كتبٍ بلغ فيها الغاية، منها نسخة بخطه من صحيح مسلم والسنن لأبي داود، وغيرُ ذلك. وصنف في الحديث ورجاله، والفقه وأصوله مصنفات نافعة أُخذت عنه»[1]، فذكر ثَبَتاً موسعاً يجمع عناوين مصنفات ابن القطان الأب، ويكفي أن أذكر منها هنا كتاب «الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام» ـ والأحكام كتاب لعبدالحق الإشبيلي ـ وهو من أجلِّ كتبه وأشهرها، طارت نسخه مشرقا ومغربا، واسترعى هِمَمَ الباحثين قديما وحديثا واستقطبتها استقطابا. يقول الحافظ شمس الدين الذهبي: «علقت من تأليفه كتاب الوهم والإيهام فوائد تدل على قوة ذكائه وسيلان ذهنه وبصره بالعلل»[2].

وإذا كانت كتب التراجم قد أشفت الغليل في تعريفنا بالمكانة العلمية لابن القطان الأب وبإنتاجه الغزير فإنها ـ ولِما سَلَف ذكره ـ لم تحتفظ بتسجيل ما لابن القطان الابن من ذلك، لكن يمكن رصد بعضه منها، ولَمّ شَعَث ما تفرق في تضاعيفها، واستخراج ما يمكن استخراجه من كتبه المخطوطة الموجودة بين أيدينا.

إن مكانة أبي محمد ابن القطان العلمية تستخلص من معرفة أمور منها: طلبه للعلم وشيوخه، وتلامذته، وما ألَّفه من دواوين، وخطّه من عناوين.

وأما **شيوخه** فعلى رأسهم أبوه الذي تقدمت مكانته، ولا غرو أنه نهل من علمه، وتأثر بطريقته ومنهجه، وكان مَثَلَهُ الأعلى وقدوته المثلى، ولا شك أيضا أن أباه وعلى عادة أهل الزمان وجّه ابنه حَسَناً إلى حفظ كتاب الله، والتعلق بسنة رسول الله ﷺ، واستظهار أشهر المتون في مختلف العلوم والفنون.

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص167).
(2) سير أعلام النبلاء (22/ 307).

ويظهر جليا أن لأبي محمد بن القطان اعتناء خاص بكتب أبيه، وحظٌّ وافر من النظر فيها، واستلهام لدقيق دررها وفرائد فوائدها، فقد أشار ابن عبد الملك غير مرة إلى أن شيخه أبا محمد هو من وضع هذا العنوان أو ذاك لكتاب أبيه؛ فتسميات «كتاب النظر في أحكام النظر»، و«كتاب النزع في القياس لمناضلة من سلك غير المهيع في إثبات القياس»، وهو رد للأب على أبي علي بن الطويل، و«مقالة إنهاء البحث منتهاه عن مغزى من أثبت القول بالقياس زمن نفاه»، كلها من وضع الابن.

ومن **شيوخه** الذين صرح بهم في كتابه «السّلك المثنى النظام»، أبو سعيد المتراري، وبعد البحث تبين أن اسمه: يخلفتين بن تنفليشت المتراري البوغاغي، ذكره ابن عبدالملك في مناسبتين: الأولى في ترجمة ابن القطان الأب، ووسَمه بالوَرع المجمع على فضله، ومن العجيب أنَّ ذكره في ترجمة ابن القطان كان في أثناء سرد ابن عبد الملك للأمور التي عيبت عليه، فاستشهد في عرضها بقول أبي سعيد فيه: «ذلك شخصٌ يصارح نَفْسَهُ أن يكون مُهَلبي الملوك»[1]. أما المناسبة الثانية ففي ترجمة أبي موسى عيسى بن عبدالعزيز اليَزْدَكْتَنِي حيث قال: «وأخبرني ممن أَثِقُهُ أن الفقيه المتفنن الورع المجمع على فضله أبا سعيد يخلفتين بن تنفليشت بن إبراهيم المتراري البوغاغي كان متى أشكل عليه شيء من علم العربية تعرض لأبي موسى في طريقه... »[2].

ومن الشيوخ الذي صاحبهم بمراكش هو وأبو عبد الله ابن الطراوة(ت659هـ)[3]: أبو علي عمر بن محمد بن أحمد القيسي الفاسي، خال ابن عبد الملك المراكشي، توفي بمراكش سنة (620هـ) وهو ابن خمس وأربعين عاما أو نحوها. قال ابن عبد الملك:

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص173.)

(2) نفسه (ص251).

(3) ترجمته في الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص264).

«وكان شيخنا أبو محمد حسن بن القطان وأبو عبد الله ابن الطراوة يكثران الثناء عليه، والإيجاب له، والشهادة بتبريزه في النبل، والاشتمال على خِلال الفضل، وقد صاحباه طويلا بمراكش، واشتركا معه في الأخذ عن الشيوخ بها»[1]. ومن الشيوخ المذكورين في ترجمة أبي علي القيسي: أبو إسحاق الزوالي، وأبو بكر السلاقي، وأبو الحسن الأخفش، وابن قطرال، وأبو بكر عبد الله ابن الجدع، وأبو القاسم البلوي، وأبو محمد ابن حوط الله. ولا يُعلم بالتعيين من هم الشيوخ الذين شارك ابن القطان وابن الطراوة أبا علي القيسي في الأخذ عنهم.

وحدّث عن المحدِّثِ الحافظِ الضابط المتقن، اللغوي المتفنن أبي العباس وأبي جعفر أحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف الأنضاري اللَّوَرقي، المعروف بابن الصَّيْقل(ت598هـ)، وكان قد استدعاه أبو يوسف يعقوب المنصور بن أبي يعقوب إلى حضرته مراكش لِيُسْمع بها الحديث فَقَدِمَهَا ثم عاد إلى تلمسين، وهي منزله، في ذي القعدة سنة(585هـ). وفيه قال أبو الحسن ابن القطان: عدلٌ إمامٌ في الحديث[2].

وحدث عن المحدث الحافظ المسند الأديب أبي عمر أحمد بن أبي محمد هارون بن أحمد ابن جعفر بن عبد الملك ابن عات ـ وبه شهر ـ النفزي الشاطبي، فُقِدَ في وقعة العُقاب[3] سنة(609هـ)، وكان الأمراء من آل عبد المؤمن يخاطبونه ويعتمدونَ رأيه وإشارته في مصالح بلده شاطبة وأهلها ثقة بدينه وركونا إلى نصيحته[4].

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص237).

(2) الذيل والتكملة، السفر الأول (ص126)، وترجمته فيها من (ص125 ـ 127)، وفي التكملة(1/ 81).

(3) قال ابن فرحون اليعمري: «وهذه الوقعة هي السبب الأقوى في تَحَيُّف الروم بلاد الأندلس، حتى استولوا على معظمها، وأفضى الحال إلى خلائها من أهل الملة الحنيفية، فإنا لله وإنا إليه راجعون». الديباج المذهب(1/ 204).

(4) الذيل والتكملة، السفر الأول (ص560)، وترجمته فيها (ص556 ـ 562)، وفي التكملة(1/ 101)، والإعلام للمراكشي(2/ 117 ـ 124)، والديباج المذهب(1/ 202)، ونفح الطيب(2/ 602).

وحدث عن المقرئ المجود، المحدث المكثر، العدل الثقة، النحوي الأديب، الورع الحافظ أبي حفص وأبي علي عمر بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى بن خلف الأزدي المالقي، المعروف بالرّندي(ت616هـ)، وكان أقرأ القرآن ودرّس العربية والأدب طويلا بسبتة، ثم استدعاه أهل مالقة بعد ارتحال السهيلي عنها ـ وقيل بعد موته ـ للتدريس بها والإقراء مكانه، فأجابهم إلى ذلك، واستقر بها إلى أن توفي[1].

وحدث عن القاضي الفقيه الأصولي النّظار الشاعر الأديب المشارك أبي عبد الله محمد ابن عيسى بن محمد بن أصبغ المعروف بابن المناصف، الأزدي، المهدوي، القرطبي الأصل، وكان استقر آخر حياته بمراكش خطيبا بجامع بني عبد المؤمن الأقدم؛ جامع الكتبيين إلى أن توفي بها سنة(ت620هـ)، وهو صاحب المنظومة الرائعة البديعة المسماة: «الدرة السنية في المعالم السنية»؛ نظم فيها علم الكلام والأصول والفقه والسيرة النبوية[2].

وروى عن الأصولي المتكلم المحقق المشارك أبو الحجاج يوسف بن محمد بن المعز المكلاتي الفاسي(ت626هـ). قال ابن عبد الملك: «وكانت بينه وبين أبي الحسن ابن القطان ـ والد المترجم ـ منافرة شديدة ومقاطعة مشهورة، وعلى ذلك فقد صدر عنه في جانب أبي الحسن ما فيه أصدق دلالة على حسن دفاعه وكرم طباعه»، فذكر قصة لأبي الحسن ابن القطان ألبت عليه طائفة من ثالبيه والطاعنين عليه وتضمنت القصة دفاع أبي الحجاج المكلاتي عن ابن القطان[3].

---

(1) الذيل والتكملة السفر الخامس (2/ 453)، وترجمته فيه من (ص450 ـ 454).

(2) الذيل والتكملة السفر الثامن (1/ 346)، وترجمته فيه من (ص345 ـ 350)، وفي الابتهاج للتنبكتي(ص379).

(3) الذيل والتكملة، السفر الثامن(2/ 432) ترجمته فيه: (2/ 432-434).

وحدّث عن القاضي المتصوف اللغوي الأديب أبي يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى ابن عبد الرحمن التادلي، المعروف بابن الزيات، مؤلف كتاب التشوف إلى رجال التصوف(ت627هـ)[1]. وهذا مأخوذ من ترجمة أبي الحسين يحيى بن محمد بن علي بن الصائغ الأنصاري السبتي(ت600هـ) في الذيل والتكملة.

وحدث أبو محمد ابن القطان بالإجازة عن المحدث الرَّاوِية اللغوي الأديب المشارك أبي الخطاب عمر بن حسن بن علي المعروف بابن دحية الكلبي، وبذي النسبين(ت633هـ)؛ طلب له الإجازة منه ولغيره أبو إسحاق بن الواعظ[2].

وحدث بها عن الإمام الصالح الجليل، الكاتب الأديب البليغ أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير الكناني(614هـ)، وهذه الإجازة أيضا باستدعاء وطلب أبي إسحاق بن الواعظ للمترجم وجماعة[3].

واستجاز له أبوه ولنفسه أبا إسحاق إبراهيم بن منصور الغساني الدمشقي، المعروف بالسنهوري. قال أبو الحسن ابن القطان وهو يذكره في شيوخه: «قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمائة، واستجزته لابني حسن فأجازه وإياي ... وقدم علينا بعد ذلك مراكش مفلتا من الأسر فظهر في حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكذب زهده فيه،

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن(2 / 418). وترجمته في: الأعلام للزركلي(8/ 257)، ومقدمة تحقيق كتابه التشوف إلى رجال التصوف، للدكتور أحمد التوفيق، وسنة وفاة التادلي المثبتة على ظهر الغلاف وهي(617هـ) غير صحيحة، وقد أثبت التاريخ الصحيح في الصفحة(24) حيث قال: توفي التادلي بركراكة سنة 627هـ أو 628هـ.

(2) الذيل والتكملة السفر الثامن (2 / 218). وترجمته فيه من(ص215 ـ 220).

(3) الذيل والتكملة السفر الخامس القسم الثاني (ص607)، وترجمته فيه من (ص595 ـ 621)، وفي التكملة لكتاب الصلة (2/ 109)، وتاريخ الإسلام (44/ 211).

وإثر ذلك انصرف إلى المشرق راجعا، وقد أجاز ابني، كتب بخطه جملة من أسانيده وسمى كتبا منها الموطأ والصحيحان وغير ذلك. قال: وقد تبرأت من عهده جميعه لما أثبت من حاله»[1]. وكان السنهوري ينتحل مذهب ابن حزم الظاهري[2].

فهذه مشيخة تزيد عن العشرة باثنين، وبالبحث والتنقيب، خاصة في ما هو مخطوط، يمكن الظفر بأكثر من هذا، وهو أمر يحتاج إلى السبر والصبر معا.

وأما تلامذة أبي محمد ابن القطان فلم أجد ممن صُرح بهم زيادة على واحد، وقد تقدمت الإشارة إليه، وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذي لا يتردد في وصفه كلما ذكره بما يبين أنه من أبرز شيوخه، ومصدر هام لكثير من المواد التي بثها في كتابه، ولَوْلا هذا التلميذ الوفي، والذي فيما يبدو أكثر ملازمة له، ما من عرفنا عن أبي محمد ابن القطان شيئا.

وبالعَدِّ الإحصائي تردد ورود اسم ابن القطان الابن عند تلميذه ابن عبدالملك عشرون مرة على ما أحصيت، ولا أقول استقصيت، بينما أشار الدكتور محمود علي مكي فقط إلى أن ابن عبدالملك ذكره في مواضع تزيد عن العشرة[3]. وأما تفصيل ما أحصيت: فقد ذكره في ترجمة أبيه ثماني مرات، ومواضعها: السفر الثامن القسم الأول، الصفحتان(167، 170) مرتان في كل صفحة، والصفحات(168، 170، 173، 190) مرة واحدة، وثلاث مرات في ترجمة ابن دحية الكلبي: السفر الثامن القسم الأول، الصفحات(218، 219، 220)، ومرتين في ترجمة كل من ابن عات وابن المناصف: الأول في السفر الأول في الصفحتين(560، 562)، والثاني في السفر

---

(1) التكملة لكتاب الصلة(1/ 149)، والإعلام للمراكشي(1/ 169 ـ 170) نقلا عن الأول.

(2) الإعلام للمراكشي(1/ 171) نقلا عن لسان الميزان.

(3) نظم الجمان (ص30) (مقدمة المحقق).

الثامن القسم الأول(346، 348)، ومرة واحدة في تراجم كل من أبي علي عمر بن محمد الفاسي، وأبي جعفر أحمد بن سلمة الأنصاري، وعمر ابن خلف الأزدي، وأبي الحسين ابن جبير الكناني، وهي على التوالي: السفر الثامن القسم الأول(237)، والسفر الأول(126)، والسفر الخامس القسم الثاني(453)، ونفس السفر والقسم(607)، وتكملة العدد هي ذكر تحديث ابن القطان عن ابن الزيات التادلي في ترجمة أبي الحسين يحيى بن محمد ابن الصائغ السفر الثامن القسم الثاني الصفحة(418).

وأنقل هنا بعض ما ذكره ابن عبدالملك عن شيخه ابن القطان الابن خاصة ما لهُ في الكشف عن شخصه زيادةُ فائدة، وما في عرضه تـميمٌ لأركان هذه النبذة.

ذكر ابن عبد الملك في ترجمة ابن القطان الأب أنه توجَّه إلى ضيعته وهو يساير أبا عبدالله ابن المناصف ـ وهو شيخ لابنه ـ فعثرت به بغلته، فقال ابن المناصف:

ما بَالها عثرتْ ومالها قلقه

فأجابه ابن القطان مرتجلا ومداعبا:

لم تعثر البغلةُ السَّفْواء إذ عثرت — من ضُعفِ أَيْدٍ ولا من أنها خَرِقه
لكنها غشيت من نور ما حملت — من العلوم فخَرَّت تحته صعقه

قال ابن عبد الملك: «أنشدنيها أيضا ابنه أبو محمدرَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال لي: كان متى ذكرهما يستعبر ويستغفر الله منهما، وقد رأيته ضرب عليهما في معلقاته»[1].

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص170).

وفي موضع آخر من الترجمة قال ابن عبد الملك: «هذا ما وجدت بخطِّ أبي الحسن ابن القطان من هذه القصة ـ قصة العثماني وابنه ـ، وعرفت من ابنه أبي محمد شيخنا ومن غيره من شيوخنا»[1].

وفي ترجمة ابن عات، قال ابن عبد الملك: «**وحدثنا عنه شيخنا القاضي** أبو محمد حسن بن علي بن القطان»[2].

وفي نفس الترجمة قال: «أنشدني **القاضي** أبو محمد ابن القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أنشدني الشهيد عمر ابن عات رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أنشدني الحافظ المتفنن أبو الحسن ابن المفضل المقدسي لنفسه وهو من تجنيس القوافي البديع:

أيا نفسُ بالمأثورِ عن خَيْرِ مرسلٍ ... وأصحابِه والتابعينَ تَمَسَّكي

عَسَاكِ إذا بَالَغتِ في نَشْر دينه ... لما طابَ مِن نَشْرٍ لَه أن تَمَسَّكي

وخافي غداً يوم الحساب جهنّما ... إذا لَفحت نيرانُها أن تَمَسّكي»[3]

وفي ترجمة أبي عبد الله ابن المناصف قال ابن عبد الملك: «وكان حافظا للغات، ريانا من الأدب، شاعرا مجيدا مرجزا مطبوعا، من بيت علم ورياسة فيه، وتنقل في خططه السرية بارع الخط في كل طريقة. ذكر لي شيخنا أبو محمد ابن القطان أنه كان يكتب ثلاث عشرة طريقة هو فيها كلها مجيد. قال المصنف عفا الله عنه: قد رأيت منها أربع طرائق، **وهي كما وصف شيخنا أبو محمد**».

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص191).

(2) الذيل والتكملة، السفر الأول (ص560).

(3) نفس المصدر (ص562).

وفي ترجمة ابن دحية الكلبي قال: «وأنشدني شيخنا أبو محمد حسن بن القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي الخطاب ابن الجميل لنفسه فيما أذن له في روايته عنه، وأنشده إياه أبو إسحاق الواعظ قال: أنشدني أبو الخطاب لنفسه في نسخ الأحاديث المشهورة بالضعف:

أَحاديثُ نَسطورٍ وَيَسرٍ وَيَغنُمٍ ... وَقول أَشَجّ الغَربِ بعدَ خِراشِ
وَنَسخَةُ داوود وَأَخبارُ تِربِهِ ... أَبي هُدبَةَ البصري شِبهُ فراشِ»[1]

وللإشارة فقط فالبيتان وكما ذكر الدكتور بنشريفة ـ حفظه الله وشفاه ـ للحافظ أبي طاهر السلفي، وأكثر الذين يذكرونهما لا ينسبونهما لقائلهما، وبغير هذا اللفظ، وأكثر ألفاظهما ورودا عندهم:

أَحاديثُ نَسطورٍ وَيَسرٍ وَيَغنُمٍ ... وَبَعدَ أَشَجَّ الغَربُ ثُمَّ خِراشِ
وَنَسخَةُ دينارٍ وَأَخبارُ تِربِهِ ... أَبي هُدبَةَ القَيسي شبهُ فراشِ[2]

هذا، وليُعلم أن ابن دحية يروي بالإجازة عن الحافظ أبي طاهر السلفي[3]، وأن البيتين يرويهما الحافظ أبو عمر ابن عات عن أبي طاهر مباشرة؛ سمعهما فيما قرئ عليه، كما نقل المَقَّري في أزهار الرياض من رواية الحافظ ابن رُشيد السبتي رحم الله جميعهم[4].

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص219)، وفي البيت الثاني: «أبو هدبة»، ولعل ما أثبتت هو الصواب.
(2) ينظر موضوعات الصغاني (ص33)، والنكت على مقدمة ابن الصلاح (2/ 277)، كشف الخفا(2/ 561).
(3) ينظر الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص217).
(4) أزهار الرياض(2/ 354).

نعود إلى ما كنا فيه: ومما رواه ابن عبد الملك عن شيخه قال: «**وحدثني القاضي** أبو محمد حسن بن علي بن القطان، عن التاريخي العدل أبي يعقوب ابن الزيات قال: «أخبرنا أبو عبد الله ابن خالص الأنصاري قال: سمعت الشيخ أبا الحسين يحيى بن محمد الأنصاري المعروف بابن الصائغ يقول: زرت أبا يعزى... »[1] فذكر حكاية في كرامات هذا الأخير.

فمن هذا الذي سُقْتُ من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك يمكن الخروج بما يلي:

1. أنَّ أبا محمد ابن القطان من قضاة دولة بني عبد المؤمن، وخُطَّة القضاء تستلزم فيمن يتولاها أمورا عليها اتفاق الأئمة العلماء، وهنا أنقل بعض ما قاله أبو الحسن البناهي[2] في كتابه تاريخ قضاة الأندلس، قال رحمه الله: «وخُطَّة القضاء في نفسها عند الكافة من أسنى الخطط؛ فإن الله تعالى قد رفع درجةَ الحكام، وجعلَ إليهم تصريفَ أمور الأنام، يحكمون في الدماء والأبضاع والأموال، والحلال والحرام. وتلك خطة الأنبياء ومن بعدهم من الخلفاء: فلا شرفَ في الدنيا بعد الخلافة أشرفُ من القضاء. ولِأجلِ مُنيف قَدْرِه في الأقدار، ولِسُمُوِّ خطرِه في الأخطار، اشترط العلماء في مُتَولِّيه، من شروط الصحة والكمال، ما تقرر في كتبهم، واستَبعد حصولَ مجموعِه الأئمةُ المقتدى بهم. فقد نُقل عن مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يقول في الخصال التي لا يصلح القضاء إلا بها: لا أراها تجتمعُ اليومَ في أحدٍ؛ فإذا اجتمع منها في الرجل خِصلتان: العلم والورع، قُدِّم. قال عبد الملك بن حبيب في كتابه: وإن لم يكن عِلْمٌ،

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الثاني(ص418).

(2) هذا هو الصحيح في نسبته كما حققه الدكتور بنشريفة وأخبرنا به وليس «النباهي» كما هو شائع.

فعقلٌ وورعٌ؛ فبالعقلِ يُسأل وبه تَحصُلُ خصال الخير كلها؛ وبالورعِ يَعِف؛ وإن طلبَ العلمَ وَجَدَه ؛ وإن طلبَ العقلَ، إذا لم يكن عنده، لم يجده»[1].

2. أن له عناية بالأدب، واهتمام بالشعر؛ فهو يرويه ويستحضره ويحفظه؛ وقد ذكر ابن عبد الملك مقطوعات في الأماكن التي أشرت إليها غيرُ التي نقلت منها هنا يقول فيها: «أنشدنيها شيخنا أبو محمد ابن القطان».

3. أنه كان شديد الحرص على رواية الأخبار وإسنادها، والنظر في أحوال الرجال ووصفها.

4. أنه كان ثقةً فيما ينقل، عدلا فيه، ضابطا له، فقد نقل عنه ابن عبد الملك أخبارا عن أبيه وأكّدَ موافقتها لما رواه عن غيره من الشيوخ، واعتمده في وصف طرائق ابن المناصف في الخط، ثم عاين ذلك بنفسه فوجد كلامه كما وصف، ولا يغيب عنا هنا أن ابن عبدالملك من أبعد المؤرخين عن المجاملة وأكثرهم إعمالا للنقد والتمحيص.

5. أن له مجلسا يذاكر فيه، وتلامذة غير ابن عبدالملك أخذوا عنه العلم ، فقول الأخير «وحدثنا **عنه** شيخنا **القاضي** أبو محمد حسن بن علي ابن القطان»، ينبئ بذلك، فلم يكن ابن عبدالملك وهو المميز لألفاظ الرواية، العارف بصيغها وما تعنيه لِيستعمل صيغة التحمل «**حدثنا**» المفيدة للجمع لو كان حدثه وحده فقط، ونحن نجده يستعمل صيغة «**حدثني**» بالإفراد في مواضع أخرى كما مرّ آنفا.

6. أنه من مواليد العقد الثامن من القرن الهجري السادس؛ أي في حدود(570هـ) فما بعدها، فأقدم شيوخه وفاة هو أحمد بن سلمة الأنصاري اللورقي، توفي سنة(598هـ)، ثم إن هذا الشيخ غادر مراكش قبل هذا التاريخ بكثير، وذلك

(1) تاريخ قضاة الأندلس(المرقبة العليا) (ص:2).

سنة(585هـ)، ونعلم أن أبا الحسن ابن القطان كان في هذه المدة على صلة وثيقة بخلفاء الدولة الموحدية، وأن المنصور الذي حكم بين(580هـ و595هـ) هو أول من قربه وأحظاه[1]، وغالب الظن، إن لم يمكن القطع، أن ابنه الحسن كان وقتها صغيرا يعيش في كنفه، فيكون أخذُه عن الشيخ المذكور بمراكش في السنة التي غادرها أو قبلها. وهذا يرد قول محقق كتاب نظم الجمان الذي قال: إن أبا محمد ابن القطان ولد في حدود(585هـ). والله أعلم.

وهناك شيء آخر يستخلص من تلك النقول وإن كان من تحصيل حاصل: أن ابن القطان توفي قبل تلميذه ابن عبد الملك وربما قبل تحريره لبعض المواد التي أخذها عنه، فهو يتبع ذكره في أحيانا كثيرة بقوله: «رحمه الله».

ومما سبق عرضه واستخراجه يمكنني صياغة تحلية لابن القطان، وإن لم أعرض بعد كل أخباره فأقول: **هو الشيخ، المؤرخ، الفقيه، القاضي، الورع، الثقة، العدل، الضابط، المعتني بالرواية والنقد، المهتم بإنشاد الشعر وحفظه، والاشتغال بالأدب واستعذابه.**

وهذا الذي خلصت إليه وقفت مؤخرا ـ والحمد لله ـ على ما يزكيه ويقويه، وذلك في التحلية التي ضمنها الحسن الرهوني صدر الأرجوزة التي نظم فيها كتاب الإحكام من آي خير خيرة الأحكام حيث قال[2]:

فريد هذا العصر في العلوم ... وحَبْرُه المستوثقِ المعلومِ
العالمُ العلامة النحريرُ ... خالي السّريُّ الأفضل المبرورُ[3]

---

(1) نظم الجمان (ص17) (مقدمة المحقق).

(2) نظم الدرر(1/ 142-143).

(3) نظم الدرر(1/ 142) البيتان (40-41).

وبقي لي بعد هذا أن أذكر مؤلفات ابن القطان الابن وآثاره العلمية، وحتى لا أجعل الكلام هنا في سياق واحد، رأيت أن أجمع بين ذكرها وبين السبب الباعث على تأليفه لها؛ إذ إن المناسبة بين الأمرين قوية، وسيتبين هذا في المحور الآتي.

❁ مؤلفات أبي محمد بن القطان والباعث على تأليفها:

تؤكد العناوين الموجودة من مؤلفات ابن القطان أنه من علماء القرن الهجري السابع المتخصصين في علم السيرة النبوية، المبرزين في التأليف فيها؛ فجلُّ مؤلفاته في موضوعها، وقد سلك في وضع الغالب منها طريقةَ الإفراد؛ وأقصد بها أنه ألَّفَ في كل موضوع من موضوعاتها كتابا مستقلا، وهذه قائمة الكتب التي ألفها:

1. كتاب الإعلام بما للنبيﷺ من واضح الأعلام، أشار إليه الحسن الرهوني في نظم الدرر[1].

2. وكتاب الإتمام لكتاب الأعلام لما للنبي ﷺ من أوضح الأعلام. نسبه المؤلف لنفسه في كتاب السلك المثنى النظام[2].

3. الأحكام من آي خيرة خير الأنام أو الأحكام لسياق ما لسيدنا محمدﷺ من الآيات البينات والمعجزات الباهرات والأعلام. من نسخه المخطوطة: نسخة في خزانة جامع القرويين بفاس، تحت رقم: (243) وهي غير تامة. ونسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم: (316)، ومنه نسخ أخرى. نسبه المؤلف لنفسه في كتابه الروضات البهية الوسيمة، وفي كتابه السلك المثنى النظام، ونسبه له تلميذه ابن عبد الملك في الذيل والتكملة، وابن عذاري في البيان المغرب[3].

---

(1) نظم الدرر(1/ 142) البيت(38).

(2) السلك المثنى النظام(38/ أ).

(3) السلك المثنى النظام ص36، والذيل والتكملة، السفر الخامس(1/ 288)، والبيان المغرب ص:446 (قسم الموحدين).

4. وكتاب مناجاة الأبرار، نسبه المؤلف لنفسه في كتابه السلك المثنى النظام، ونسبه له ابن عذاري في البيان المغرب[1].

5. وكتاب انسجاماتِ الصحابة بكرامات الصحابة. نسبه المؤلف لنفسه في كتاب السلك المثنى النظام أيضا[2].

6. وكتاب السلك المثنى النظام بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام من الكرامات والمكرمات. نسبه المؤلف لنفسه في كتابة الروضات البهية الذي بعده[3].

7. وكتاب الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة[4]. وأعمل على تحقيقه على نسخة مخطوطة بجامع القرويين بفاس.

8. وكتاب المسموعات، فيه قصائد متخيرات فيما يخص المولد الكريم وشهر رجب وشعبان ورمضان. نسبه للمؤلف ابن عذاري في البيان المغرب[5].

9. والمرشد لآثار المولد، ذكرت خديجة البدوي أن أبا محمد ابن القطان أشار إليه في كتابه شفاء الغُلل[6].

---

(1) السلك المثنى النظام(104/ ب)، والبيان المغرب:446 (قسم الموحدين).

(2) السلك المثنى النظام(1/ ب).

(3) ذكره عبد الحي الكتاني أيضا في كتابه تاريخ المكتبات الإسلامية ومَن ألف في الكتب ضمن نفائس مكتبة القرويين(ص123).

(4) المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها، لمحمد يسف(1/ 267).

(5) البيان المغرب ص: 446 (قسم الموحدين).

(6) في دراستها لكتاب نظم الدرر(1/ 93).

10. وشفاء الغُلَل في أخبار الأنبياء والرسل. نسبه للمؤلف ابن عذاري في البيان المغرب[1]. منه نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط تحمل رقم:(671).

11. وكتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان. مطبوع بتحقيق الدكتور محمود علي مكي، صدر عن دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى سنة(1990م).

وباستثناء الكتاب الأخير، فإن جميع كتب ابن القطان الابن لم تر النور بعد؛ وقد قيض الله لتحقيق عددٍ منها والانكباب على نفض الغبار عنها في السنتين الأخيرتين مجموعةً من الباحثين المتخصصين في السيرة النبوية، من خريجي وحدة التكوين والبحث في المناهج العلمية لدراسة السيرة النبوية التي أتشرف بكوني واحدا منهم، والتي يعود الفضلُ في تأسيسها بعد الله عز وجل لشيخنا محمد باقشيش أبي مالك، ولأساتذتنا الأجلاء في شعبة الدراسات بكلية الآداب ـ جامعة ابن زهر بأكادير، حفظ الله جميعهم وأجزل لهم المثوبة. ولله الحمد والمنة. وبخصوص كتاب السلك المثنى الذي أعرف فإن الزميل الأستاذ الحسن البربوشي يعمل على تحقيقه ودراسته، ونرجو لنا وله من الله العون والسداد.

أما باعثُ أبي محمد ابن القطان على وضع تلك التصانيف الحفيلة والدواوين الجليلة فهو الخليفة الموحدي أبو حفص عمر بن إبراهيم الملقب بالمرتضى. وقد دأب المؤلف نفسه على ذكر هذا الباعث في أغلب مقدماته كتبه التي وصلت إلينا، وهو ما أشار إليه أيضا الحسن الرهوني في نظم لكتاب الإحكام بقوله:

---

(1) البيان المغرب ص: 446 (قسم الموحدين)، والمصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها(1/ 267).

وكلهـــا كان بـــأمر صـــادرِ مـــن الإمـــام الحـــائز المـــآثرِ
خليفـــة الله الذي ارتـــضى وَالى عليـــه كلَّ حـــينٍ الرِّضـــا
وكان هـــذا الـــشان لـــم يُنْـــدَب لهُ خليفـــةٌ ولا إمـــام قَبلـــهُ

فقد كان المرتضى ـ رحمه الله ـ من الخلفاء المولعين بالعلم، المطالعين للكتب، الآمـرين بتدوينها وتصنيفها ونشرها، وفي وصف هذا يقول محمد العابد الفـاسي: «وأنـت علـيم بأن أبا حفص المرتضى هذا المتوفى عام 665هـ كان عصره في ميدان العلم ونشر الـدين من أزهى العصور الموحدية، وهو نفسه كان له تعلق بالعلم معتنيا بأهله، بـاذلاً نفـيس أوقاته وعزيز أمواله في اقتناء الكتب وجمع الذخائر، وانتسخ بخط يده عدة كتب، وهـو الكاتب للمصحف الكريم الذي تحـدث النـاس عنـه كثـيرا، وكـان مكتوبـا في أجـزاء عشرة، حبس ربعه على مسجد السقاية الـذي بنـاه بحـضرة مـراكش بتـاريخ 656 ... ومن الكتب التـي انتـسخها بخـط يـده نـسخة مـن الموطـأ في سـفرين، انتـسخها مـن عتيق...»[1]. وكان رحمه الله يقوم بليلة المولد النبوي الشريف، وكان أشار له بذلك أبـو القاسم العزفي مؤلف الدر المنظم في مولد النبي المعظم.

---

(1) الخزانة العلمية بالمغرب (ص:15) وينظر تتمة الكلام فيه.

⊠ وصف ما هو موجود من مخطوطة الكتاب:

يوجد من «كتاب السلك المثنى النظام» السفر الأول فقط، منه نسختان خطيتان، الأولى بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم (223) وهي تامة، عدد صفحاتها 306 صفحة، بحسب الترقيم الذي أحدث على أعلى صفحاتها، مسطرتها 22 سطرا، في كل سطر من ست إلى عشر كلمات، كتبت فيها جلُّ عناوين الأبواب والفصول وأسماء الأعلام وعبارات الرواية بخط بارز بالحبر الأحمر، خطها مغربي وسط حسن، على طررها الداخلية أثر الأرضة، وليس لذلك تأثير على متن الكتاب إلا على بعض الكلمات، والنسخة عارية من ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ، ويظهر أنها مصححةٌ ومقابلة بنسخة أخرى، إذ هناك إشارات في الطرر إلى الاختلاف الحاصل بين هذه النسخة وغيرها.

تبتدئ هذه النسخة بما نصه: «قال العبد الفقير إلى رحمة الله عز وجل ومغفرته، حسن بن علي بن محمد بن عبدالملك ابن القطان وفقه الله تعالى وسدده بمنّه آمين: الحمد لله مبدع المصنوعات بحكمته، وموجد الموجودات بقدرته، ومجري الأحكام العادية على نظام لا تبديل فيه لسنتِه، ولا تغيير لخلقتِه، ولا انخراق لمستتبِ ما جرى من فطرته، لما أحكم من صنعته، إلا أن يأمر جلّ وعلا بخرق شيء من ذلك لنبي برهاناً لنبوته، أو لولي إظهاراً لحظوته عنده سبحانه وأثرته، فتنخرقُ العادة لهما بمشيئته، وتشرقُ أنوار الاعتناء برحمته ومنّته، أحمده جلا وعلا حمداً دائما بدوام ربوبيته، أبديا لا انقطاع لأبديته، وأشكره سبحانه على ما أنعم وأسبغ من آلائه ونعمته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله شهادة أرجو بها دخول جنته، والفوز بتجاوزه وعفوه ومغفرته، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمدٍ المصطفى الكريم المختار من جميع بَرِيّته، الذي صمته لفكرته ونظره وعبرته؛ لتبليغه لوحيه وسنته وحجته، وعلى آله وعِترته وصحبه الأكرمين وأسرته، وأزواجه أمهات المؤمنين وذرياته، وسلم تسليما زاكيا عليه وعليهم وعلى جميع زمرته.

ورضي الله عن الإمام المعصوم المعلوم المجدد لما دَرَسَ من ملَّته، والمحيي لما طُمس من شريعته، وعن غلبائه الراشدين المرشدين الحافظين لدولته، القائمين بكلمته العليا ودعوته، وعن الأمير الطاهر أبي إبراهيم بن سيدين الخليفتين الإمامين أمير المؤمنين الذي كانت الطهارة راسخة في سَجِيّته، والتقوى ملازمة لعمله.

ونصر الله الخليفة سيدنا ومولانا الإمام أبا حفص عمر بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين نصرا مؤزرا يجعل الأقاليم كلها في حوزته، والشاسع والداني والموالي والمعادي في طاعته وقبضته، وفتح له فتحا مبينا يملأ الأرض بأنوار بهجته، وتعمُّ آثاره الطول منها والعرض في جميعِ مدّته، وجعل ذلك كلمة باقية في عقبه ناجزة لهم به صادقاتٌ تباشيرهُ وعدَّتهُ بجوده وفضله ورحمته.

أما بعد: فإن الأمر المطاعَ العليَّ المُـؤْمنيَّ المرتضى أدام الله بهاء الدنيا بطول بقائه، واعتلاءَ الدين ببسوق اعتلائه...».

وتنتهي النسخة بقول المؤلف: «وعن حنظلة بن نعيم قال: لما ضرب ابنُ ملجم ـ لعنه الله ـ عليا رحمه الله تعالى ورضي الله عنه/ ...[ص307] فإني لا أخرجه لك أبدا فشق لحيه واستخرج لسانه بين لحييه فقطعه.

كمل السفر الأول من كتاب السلك المثنى النظام بما للصحابة الكرام عليهم الرضوان والسلام من الكرامات والمكرمات العظام، بحمد الله تعالى وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

وأما النسخة الثانية من السفر الموجود، فتحتفظ بها خزانة جامع القرويين تحت رقم(243)، ناقصة الأول بصفحة، والنصف الأعلى من الصفحة الأخيرة، عدد لوحاتها 117، مسطرتها 21 سطرا، في كل سطر 10 كلمات، يزيد العدد وينقص، وخطها مغربي واضح، كتبت فيها عناوين الأبواب والفصول وأسماء الأعلام وعبارات الرواية بخط سميك، بعضه بالحبر الأسود والآخر بالأحمر، عارية من ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

---

(1) وقع سقط في أثناء هذا الحديث في النسختين معا، ولعل ذلك يرجع إلى أحد أمرين لا ثلاث لهما: إما أن تكون إحدى النسختين منقولة عن الأخرى، وكان وقع ذلك السقط في التي هي أصل، وهو ضعيف، والثاني أن المؤلف أو الناسخ قد عمد إلى حذف ذلك من الحديث؛ لتضمنه كيفية الاقتصاص من ابن ملجم، وهذا قوي، ويزيد من قوته ترك فراغ مكانه في النسختين معا. والله أعلم.
وهذا نص الحديث كاملا كما أخرجه الإمام أبو بكر الآجري في كتابه «الشريعة»، من طريق علي بن حنظلة بن نعيم عن أبيه قال: «لما ضرب ابن ملجم علياً ﷺ قال علي: احبسوه، فإنما هو جرحٌ، فإن برئت امتثلت أو عفوت، وإن هَلَكتُ قتلتموه. فجعل عليه عبد الله بن جعفر، وكانت زينب بنت علي تحته، فقطع يديه، وفَقَأَ عينيه، وقطع رجليه، وجدعه، وقال له: هات لسانك. فقال له: إذ صنعتَ ما صنعتَ فإنما تستقرضُ في جسدكَ، أما لساني ويحك فدعه أذكر الله عز وجل به، وإني لا أخرجه لك أبدا، فشق لحييه وأخرج لسانه من بين لحييه فقطعه، وحمّى مسمارا ليفقأ به عينيه، فقال: إنك لتكحل بملمول مضر (ممض)، فجاءت زينب تبكي وتقول: يا خبيث والله ما ضرت أمير المؤمنين، فقال: علام تبكين يا زينب؟ والله ما خانني سيفي وما ضعفت يدي. كتاب الشريعة(4/ 2107 ـ 2108) رقم(1060).

تبتدئ بقول المؤلف: «... الإمام المؤمن بالله تعالى المرتضى لأمره، أمير المؤمنين أبا حفص عمر بن سيدنا الأمير الطاهر أبي إبراهيم بن سيدنا الخليفة المطاع أمير المؤمنين ابن سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين نصرا مؤزرا يجعل الأقاليم كلها في حوزته، والشاسع والداني والموالي والمعادي في طاعته وقبضته ...[1/ ب]».

والملاحظ أن بدايتها تختلف مع ما يقابلها في النسخ الأخرى في بعض العبارات، وبالضبط في التحليات المستعلمة فيها.

وتنتهي هذه النسخة بـ: «عن حنظلة بن نعيم قال لما ضرب ابنُ ملجم ـ لعنه الله ـ عليا رضي الله تعالى عنه [...] فإني لا أخرجه لك أبدا فشق لحيبه واستخرج لسانه بين لحييه فقطعه.

كمل السفر الأول من كتاب السلك المثنى النظام».

⊠ موضوع الكتاب ومضامينه:

يمكن تصنيف «كتاب السَّلكِ المثنَّى النِّظَام» في إطاره العام في كتب السيرة النبوية؛ إذ مفهومُها العام يسمحُ بدخول ما أُلِّف في الصحابة رضوان الله عليهم فيها، ويمكن تصنيفه في حياة الصحابة وسِيَرِهم خاصة، وإذا أردنا التخصيص أكثر قلنا: موضوع الكتاب في فضائل الصحابة ومناقبهم وكرماتهم ومكراماتهم كما جاء في العنوان الذي وَشَّح به المؤلفُ كتابَه، وما نطق به في تضاعيفه، حيث قال: «فعند شروع المملوك في الامتثال، وبروز كتاب انسجاماتِ الصحابة بكرامات الصحابة في حُلَلِه يختال، وإن لم يكن بلغ حينئذ مبلغ التَّمام والكمال، بل هو في زمن التهذيب والتصوير والانفعال، صدر أمر ثانٍ كريمٌ مطاعٌ عالٍ بأن تضافَ إلى الكرامات نُبَذٌ من

فضائلهم رضي الله تعالى عنهم وما لهم من كريم السَّجَايا والخِلال، حتى يكون المجموعُ مشتملاً على الكرامات والمكرمات أوعبَ اشتمال....»[1].

هذا عن موضوع الكتاب، وأما مضامينُه فابن القطان قسَّم كتابه إلى خمسة أجزاء، اشتملت على مقدمتين وثلاثة كتب.

أما المقدمة الأولى فعرّف فيها الصحابي والولي، مستحضرا بعض النصوص الحديثية، وكثيرا من أقوال العلماء، ويحسب للمؤلف هنا تنبيهه على كون لفظة "**الصحابي**" قد وَرَدَ على لسان النبي ﷺ ما هو مشتق منها كما في قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «لا تسبّوا أصحابي» الذي أخرجه مسلم وغيره. وعقد فيها فصلا بيّن فيه مفهوم الكرامة، والفرق بينها وبين الآية والمعجزة، محددا أقسامها، وفي فصل تالٍ قَرر المؤلف أن شهود بدر كرامة، وأن بيعة الرضوان كرامة لأصحابها، وأن هناك كرامات عامة للصحابة ولجماعات منهم رضي الله عنهم، وفي فصل آخر أورد الشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وآثار السلف على صحة كرامات الأولياء، وختم هذه المقدمة بتوضيح معنى الفضيلة والمنقبة.

وجعل المؤلف المقدمة الثانية لكتابه تنتظم في فصلين اثنين، فَصَّل الحديث في الأول عن مناقب الصحابة بعموم، مبتدئا بمناقب المهاجرين ثم الأنصار رضوان الله عليهم جميعا، ذاكرا ما جاء من الآيات في فضل سبقهم، وثناء الباري عز وجل عليهم، مستعرضا بعض الأحاديث والآثار والأقوال.

وفي الفصل الثاني تحدث المؤلف عن كرامات الصحابة بعموم أيضا.

---

(1) الورقة [1/ ب] من نسخة القرويين وعليها أحيل.

أما الكتب الثلاثة فاشتملت على ذكر نُبذٍ من فضائل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعا، ولُمَعٍ من معاليهم[1]، فالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يستقص كل ذلك، وإنما اختار وانتقى وانتخب؛ إذ فضائل الصحابة ومكرماتهم - كما قال رحمه الله - «لا يمكن حصرها، ولا يُعبر بحرُها، فمن ذا الذي يطيق إحصاء عدد القطر والحصى والتراب، فحَسْبُ المدفوع لذلك أن يختار منها اللُّبابَ فاللباب»[2]. وقد أودع الكتب الثلاثة - كما قال - ما تيسَّر له الوقوف عليه من كراماتهم الخارقة للعادة.

وأما الكتاب الأول فعرض فيه مناقب العشرة المشهود لهم بالجنة، وما وجد من كراماتهم، وما ساوق ذلك من أنسابهم وموالدهم ووفياتهم، ونحو ذلك رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ورتب ذلك في صدر وأحد عشر بابا؛ أورد في صدر الكتاب الأحاديث الشاهدة لأولئك العشرة بالجنة. وأما الأبواب فقد خصص المؤلف لكل واحد من العشرة بابا عرض فيه ما يخصه مما ذُكر آنفا، والعشرة كما نظمهم أحد السلف هم:

لقد بشرت بعد النبي محمد ... بجنّات عدن زمرةٌ سُعداءُ
سعيدٌ وسعدٌ والزبيرُ وعامر ... وطلحةُ والزهري والخلفاءُ[3]

فعامر هو أبو عبيدة بن الجراح، والزهري هو عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهم أجمعين[4].

---

(1) الورقة [2/ أ].
(2) الورقة [2/ أ].
(3) نسب هذا النظم لأبي طاهر السلفي في كتاب وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام لأبي العباس أحمد بن الخطيب (ص:72)، وذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير(2/ 415).
(4) الورقة [21].

ويظهر أن أبا محمد بن القطان عَمد إلى بسط ما وقف عليه لكل واحد من العشرة في أربعة فصول، فهذا الذي سار عليه في أبواب الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم - وهي الموجود من الكتاب - حيث يعقد الفصل الأول في ذكر اسم الصحابي ونسبِه من أبويه وحِلْيَته. والفصل الثاني في نبذ من مناقبه وفضائله، والفصل الثالث فيما خرج من فضائله ومناقِبه مَخرَجَ الكرامات الخارقة للعادات، ثم الفصل الرابع في ذكر وفاته.

وأشار المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في باب علي رضي الله عنه؛ في الفصل الثاني المخصص لذكر كراماته؛ أنه خصّ أهل البيت النبوي الكريم بكتاب مستقل ضمنه ما لهم من الفضائل والمعالي. ومن ثَمَّ يمكن تصور الكتاب الثالث الذي يفترض أنه وضعه في فضائل ومناقب بقية الصحابة من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم جميعا. والله أعلم.

هذا ما يمكن قوله عن موضوع الكتاب - وبخاصة السفر الموجود منه - ومضامينه باختصار شديد. وللإشارة فالمؤلف لم يغفل ذكر ما للصحابة من الفضائل والمناقب حتى قبل إسلامهم.

☒ من ألف على منواله:

كثيرة هي الكتب المؤلفة في فضائل الصحابة ومناقبهم وكراماتهم، ولعلّ أصحابَ الحديث كانوا سباقين إلى طرق هذا الموضوع؛ إذ خصصوا في مصنفاتهم المشهورة كتبا وأبوابا كاملة لذلك، فنجد في الجامع الصحيح للإمام أبي عبدالله البخاري(ت256هـ): «كتابَ فضائل الصحابة»، وكذا في صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج(ت261هـ)، وتَرجَمَ الإمام أبو داود السجستاني(ت275هـ) في سننه: «باب في فضل أصحاب رسول الله ﷺ»، وابنُ ماجهْ(ت273هـ) في سننه: «باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ»، وفيه أبواب مفردة في فضل عدَدٍ من الصحابة

الكرام، وللإمام الترمذي(ت279هـ) في سننه أبواب مفردة أيضا في مناقب كثير من الصحابة، ولأبي عبد الله الحاكم النيسابوري(ت405هـ) في مستدركه: «كتاب معرفة الصحابة»، وهكذا فعل جلّ من اعتنى بهذا الشأن.

وبعد أصحاب الحديث بل وفي زمنهم ظهرت مصنفات مستقلة، عُنِي أصحابها بجمع ما روي في فضائل الصحابة ومناقبهم وكراماتهم، ولا شك أن طُرقهم في تحبيرها ومناهجهم في تسطيرها اختلفت، وأن مواردهم في جمعها تنوعت. وأذكر هنا مسردا مختصرا لبعض ما ألف في الموضوع استقلالا، يكون ـ بإذن الله ـ للقصد مستكملا[1]:

1. إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة، لمحمد المغربي بن الثباني السطيقي، صدر عن دار الأنصار للطباعة والنشر ـ القاهرة (دون تاريخ).

2. إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل، لمحمد بن محمد بن عبدالله حجازي القلقشندي(ت1035هـ).

3. إتحاف السعداء بمناقب الشهداء (حمزة بن عبدالمطلب)، جمع الشيخ عفيف الدين أبي السيادة عبد الله بن إبراهيم بن حسن ميرغني الحسني المتقي المكي الطائفي الحنفي(ت207هـ).

4. الأربعون في مناقب أمهات المؤمنين، لأبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن عساكر(ت620هـ). صدر عن دار الفكر ـ دمشق (1406هـ)، تحقيق محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير.

---

(1) ما أذكره مرتب على الحروف.

5. الأنباء المستطابة في فضل الصحابة والقرابة، لهبة الله بن سيد الكل القفطي الشافعي(ت697هـ).

6. الإيناس بمناقب العباس بن عبد المطلب (عم الرسول ﷺ)، للحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني(ت852هـ).

7. التبيان في مناقب عثمان، للحافظ شمس الدين الذهبي(748هـ).

8. تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة، لابن سيد الناس، أبي الفتح محمد بن محمد صاحب كتاب عيون الأثر(ت734هـ).

9. تحفة الأحباب في فضائل الأصحاب، لمحمد أمين الحامي الهروي(كان حيا 959هـ).

10. تحفة الأخيار في فضائل الأنصار، لابن حسين الأنصاري (نور الدين) (كان حيا 994هـ).

11. تحفة العَجْلان في فضائل عثمان، للحافظ جلال الدين السيوطي(ت911هـ).

12. جزء فيه فضائل أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، لأبي القاسم عبيد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر السقطي(ت604هـ).

13. در السحابة في مناقب القرابة والصحابة، لمحمد بن علي الشوكاني(ت1250هـ).

14. رفع الالتباس في فضائل الحبر ابن عباس، لمحمد بن محمد الإمام(ت745هـ).

15. الرياض النضرة في فضائل العشرة، لمحب الدين أبي عبد الله الطبري، أحمد ابن عبد الله(ت693هـ). صدرت له طبعات منها طبعة المطبعة الحسينية سنة(1327هـ)، وطبعة مكتبة الجندي بالقاهرة(1971م)، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء.

16. زبدة المقال في فضائل الأصحاب والآل، لكمال الدين أبي سالم محمد بن طلحة(ت652هـ).

17. سِيَر السلف ومناقبهم رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الصالحين، لأبي القاسم محمد بن الفضل الأصبهاني الطلحي(ت535هـ).

18. ظِلُّ الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصّه رسولﷺ من صحابته بالكرامة، لابن أبي الخصال محمد بن مسعود الغافقي(ت540هـ).

19. فضائل الصحابة، لعبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي(ت238هـ).

20. فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل(ت241هـ).

21. فضائل الصحابة، لبقي بن مخلد الأندلسي(ت276هـ).

22. فضائل الصحابة، للإمام النسائي(ت303هـ).

23. فضائل الصحابة، لخيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي(ت343هـ).

24. فضائل الصحابة، لابن جماعة، إبراهيم بن عبد الرحمن المقدسي(ت764هـ).

25. فضائل الخلفاء الأربعة لأبي بكر أحمد بن إسحاق النيسابوري (ت343هـ).

26. فضائل الخلفاء الأربعة ، لأبي نعيم الأصفهاني(ت430هـ).

27. فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض، للإمام الدارقطني(ت385هـ).

28. فضائل العشرة، للحاكم النيسابوري صاحب المستدرك على الصحيحين(ت405هـ).

29. المصابيح في فضائل الصحابة، لابن فطيس عبدالرحمن الأندلسي(ت402هـ).

30. المقامات العلية في كرامات الصحابة الجلية، لابن سيد الناس اليعمري(ت734هـ)، صدر عن دار الملاح في دمشق ، بتحقيق عفت وصال حمزة سنة 1986م.

وكما سلف فهذه نماذج فقط لما أُلِّف في الموضوع، وإلا فاستقصاؤها يطول، وللتوسع يمكن الرجوع إلى الفهارس والمعاجم التي استهدفت ذكر ما ألف في الصحابة مثل: معجم ما ألف عن الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت رضوان الله عنهم، لمحمد بن إبراهيم الشيباني، وهو معتمدي في هذا المسرد.

⊠ مصادر ابن القطان في كتابه

يقفُ القارئ لمخطوطة السفر الأول من «**كتاب السِّلكِ المثنى النظام**» على مجموعة من أسماء المصنفين المشهورين، من أصحاب اللغة، والحديث، والتفسير، والتاريخ، والسير، والتراجم، والأنساب، والتصوف.

فمن أهل اللغة أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب كتاب العين، ومن أهل الحديث المصرَّح بهم: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت256هـ)، الذي أحال المؤلف على جامعه الصحيح غيرَ مرة، والإمام أبو

الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النسيابوري(ت261هـ)، والإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السُّلمي، الذي تكرر ورود اسمه في تضاعيف الكتاب، ولا شك أن كتب السنن المعروفة كانت مصدرا من مصادر المؤلف وإن لم يجر لديه ورود أسماء أصحابها؛ إذ الغالب عليه عدم ذكر من خرج الحديث، وإنما يكتفي بسوقه من مخرجه الأول الذي يكون في الغالب صحابيا أو تابعيا. وممن يُعَدُّ في أهل الحديث أبو بكر محمد بن الحسين الآجري(ت360هـ)، ويتبين من النقول التي نسبها إليه المؤلف أنه اعتمد على كتابه الشريعة في السنة، ومن أئمة التفسير: أبو محمد سعيد ابن جبير الأسدي الكوفي(ت95هـ)، والحسن بن أبي الحسن البصري(ت110هـ) وأبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي(ت110هـ)، وأما أئمة التاريخ والسير والمغازي والتراجم فمنهم: محمد بن إسحاق(ت151هـ) صاحب الكتاب المشهور في السيرة النبوية، وابن عبد البر الأندلسي(ت463هـ)، صاحب كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، وقد عوّل المؤلف على كتابيها كما يظهر وإن كان لا يصرح بهما كل مرة، ومنهم المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي البغدادي(ت345هـ)، صاحب كتاب مروج الذهب وغيره من التواريخ، والواقدي محمد بن عمر(ت207هـ)، صاحب كتاب المغازي، والإمام البخاري، حيث نقل المؤلف من تاريخه مرة، والإخباري المشهور أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله المدائني الإخباري(ت225هـ)، الذي من تصانيفه تاريخ الخلفاء وأخبار أهل البيت. ومن أهل علم الأنساب أبو عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب القرشي الأسدي(ت256هـ)، صاحب كتاب نسب قريش، ومن أهل التصوف أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري(ت465هـ)، نقل المؤلف من رسالته المشهورة بالنسبة إليه(الرسالة القشيرية). وهناك أسماء غير ما ذكرت نقل عنهم ابن القطان كالقاضي عياض، وأبي حامد

الغزالي، وشيخه أبي سعيد المتراري، والسرِّي السقطي، والقاضي أبي بكر بن الطيب الأشعري، وأسماء أخرى أبهمها.

هذا، ولا يمكن القطع فيما إذا كان أبو محمد بن القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينقل مباشرة من كتب الأسماء المذكورة أم ينقل عنها بواسطة، لكن المؤكد أن كتبا منها كانت بين يديه، مثل كتب السُّنَّة، وكتاب الاستيعاب، وسيرة ابن إسحاق، والرسالة القشيرية، خاصة وأنه من بيت علم، وتحت إمارة اهتم أمراؤها بالعلم والعلماء وكانت لهم مكتبات وخزائن تضم نوادر الكتب ونفائس المصنفات.

⊠ منهجه فيه

كشف تتبع الكتاب وتصفح لوحاته على أن المؤلف نهجَ فيه من حيث الشكل ترتيبا محكما يشبه إلى حدٍّ ما الترتيب المعتمد لدى كثير من الباحثين والدارسين المعاصرين في رسائلهم ودراساتهم الأكاديمية، فالكتاب ـ كما سلف ـ ينتظم في ديباجة ومقدمتين وثلاثة كتب، ويظهر من السِّفر الموجود منه أن المؤلِّف خصَّ كل صحابيٍّ من الصحابة الذي ساقهم في كتابه ببابٍ مفرد، وجعل تحته فصولا على نحو ما تقدم في الكلام على مضامين الكتاب[1]. وداخل هذه الفصول يقف المتتبع على بعض جزئيات منهج المؤلف التفصيلية من قبيل التمييز بين فقرات الفصول ببعض العبارات التي يكرر إيرادها.

وأما منهج المؤلف من حيث المضمون، فيمكن إجماله في النقط الآتية:

---

(1) فهذه مثلا عناوين فصول باب عمر رضي الله عنه، وهو الثاني في الكتاب: الفصل الأول في ذكر أسمائه ونسبِه من أبويه وحِلْيَته. والفصل الثاني في نبذ من مناقبه العَلِيَّة وفضائله الزكية رضي الله تعالى عنه، والفصل الثالث فيما خرج من فضائله الزكيّةِ ومناقِبه العليَّة مخرَجَ الكرامات الخارقة للعادات رضي الله تعالى عنه، ثم الفصل الرابع في ذكر وفاته رحمة الله تعالى عليه ورضوانه.

× **تحديده المعيار الذي أقام عليه أساس اختيارِه من يدخلهم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم في تضاعيف كتابه،** فلم يذكر فيه «من لم يقف له على مستغرب من أحواله، وانحراق عادة في أفعاله، وإنما ذكر فيه من وجدت له كرامة خاصة من كرامات الأولياء أيُّ شيءٍ كانت ولو منامةً صادقة رآها فجاءت كفلق الصبح أو رُئيت له، أو دعوةً استجيبت فيه أو له أو منه أو غير ذلك من أصناف الكرمات»[1].

× تبعا للأول أفصح أبو محمد ابن القطان في الفصل الأول من المقدمة الأولى التي بيَّن فيها معنى الصحابي عن بعض منهجه وذلك عند ذِكرِه للتعريفِ الذي عليه شرط ابن عبد البر الأندلسي في كتاب الاستيعاب فقال: «وعلى هذا شرط ابن عبد البر في الاستيعاب أن يذكرَ في جملة الصحابة كل من كان كذلك، وكذلك ابن فتحون في ذيله وغيرهما. **وقد نسجت على منوالهم في هذا الكتاب،** فذكرت أبا مسلم الخولاني وهو لم ير النبي ﷺ، لكنه أسلم في حياته، وكذلك غيره ممن ولد في حياته ﷺ؛ إذ نالوا بركته بما أُعْطُوا من الكرامات؛ صَدَقَ عليهم اسم الصحابي أو لم يصدق»[2]. انتهى

× **جرّد المؤلف الأحاديث التي ساقها في كتابه من الأسانيد ومن سلاسل الرواة،** مكتفيا ـ حسب زعمه ـ بالنَّصِّ على من خرّج الحديث، فهو ممن يرى أن الأسانيد إنما يحتاج إليها في الأحاديث التي تقتبس منها الأحكام[3].

×**جمعه بين الروايات المختلفة والترجيح بينها،** فمن جمعه بين الروايات قوله في بداية الفصل الثاني في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله وفضائله ـ وهو يذكر سبقه إلى

(1) الورقة [2/أ].

(2) الورقة [2/ب ـ 3/أ].

(3) الورقة [2/أ ـ ب].

الإيمـان وأوليته فيه، مستندا إلى أقوال جماعة من الصحابة الكرام وبعض التابعين الأخيار، منهم: حسان بن ثابت، وابن عباس، وأسماء بنت أبي بكر، وإبراهيم النخعي ـ: «وفي باب فضائل خديجة، رضي الله تعالى عنها، وكراماتها أنها أول من آمن، وقيل: أول من آمن زيدُ بن حارثة، وقيل: آمن زيد بعد عليٍّ وبعده أبو بكر رضي الله عنهم. ولعلّ ذلك يجتمع هكذا: أول من آمن من النساء خديجة رضي الله عنها، ومن الشباب غير المكلفين حينئذ علي رضي الله تعالى عنه؛ لأنهم ذكروا أنه كان ابنَ ثمان، وقيل ابن عشرٍ، ثم زيد بن ثابت. وأول من آمن من الرجال المكلفين: أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. وكيف ما كان فهذه منزلة في السبق إلى الإيمان لم يُعْطها غيره»[1]، وأشار المؤلف إلى هذا ثانية في مناقب علي رضي الله عنه فقال: «وقد تقدم في باب أبي بكر، رضي الله تعالى عنه، قولُ من يقول إنه أول من أسلم ووجه العمل بالأقوال كلها»[2]. لكن المؤلف رحمه الله يذكر بعد هذا ما يرجّح سبق بعض الصحابة إلى الإيمان برسول الله ﷺ وأوليته فيقول بعد ذكره لحديث سالم بن أبي الجعد أنه قال لابن الحنفية: «أبو بكر كان أولهم إسلاما؟ قال: لا»[3]، وحديثِ سلمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «أول هذه الأمة وُرودا على الحوض أولها إسلاما: على بن أبى طالب»[4]: «وهذا هو الفاصل في ذلك مع صغر سنه. وأشبه التنزيلات في ذلك: أن أول من آمن خديجة رضي الله تعالى عنها، ثم علي على صغر سنّه، ثم من الرجال المكلفين أبو بكر الصديق رضي الله

---

(1) الورقة [33/ أ].

(2) الورقة [90/ ب].

(3) الورقة [90/ ب]، وينظر الاستيعاب (3/ 1095).

(4) الورقة [90/ ب]، وينظر الاستيعاب (3/ 1092).

تعالى عنه». واستند في هذا إلى قول ابن عبد البر في استيعابه: «اتفقوا على أن خديجة أول من آمن ثم عليّ بعدها»[1]، ولا يَبْعُد أن ابن القطان استند إلى حديث سلمان رضي الله عنه في ترجيحه لكون ابن عبد البر حكم عليه بالرفع؛ إذ قال: إنه حديث مرفوع، وأن رفعه أولى؛ لأن مثله لا يدرك بالرأي[2]. والله أعلم.

× **ترجيحه بين الأقوال الكثيرة بنص الحديث الأقرب إلى الصحة، المتوفر على أكثر شروط الاتصال على ما دونه**، وهذا مما يدلّ على عناية المؤلف بهذا العلم الشريف، فقد ذكر في سبب تسمية أبي بكر رضي الله عنه، بالعتيق سبعةَ أقوال: **الأول**: « ... عن عائشة رضي الله عنها، أن أبا بكر رضي الله عنه، دخل على رسول الله ﷺ فقال: «أنت عتيقُ الله من النار» فيومئذ سمي عتيقاً. **والثاني**: ما روي عن موسى بنِ طلحة: أنه اسم سَمَّته به أُمُّه. **والثالث**: ما روي عن الليث بن سعد: أنه سمي بذلك لجمال وجهه. **والرابع**: ما روي عن مصعبٍ الزبيري وطائفة من أهل النسب: أنه إنما سمي عتيقا لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب عنه. **والخامس**: روي عن آخرين أنه كان له أخوان أحدهما يقال له: عَتيقٌ، والآخر: عُتيقٌ، فمات عَتيقٌ فسمي باسمه. **والسادس**: ما روي عن بعضهم ـ واسمه الفضل بن عباس ـ أنه إنما سمي بذلك لأن أمَّه كانت لا يعيش لها ولدٌ، فلما ولدته بُشِّرت بأنه يَعيشُ، وسُميَ لها عتيقاً؛ بمعنى أنه عَتيقٌ من الموت صغيرا حتى يبلغ أَجَلَهُ. **وقيل**: إن أمه لا يعيش لها ولد فلما ولدته قالت: اللهم هذا عتيقُك من الموت فهَبْهُ لي. والسابع: أنه إنما سمي عتيقا لأنه قديم في الخير». ـ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: وهذه كلها وإن كانت محتملة فقد رَجَح عليه الأول؛ لأنه نصٌّ نبويٌّ مرفوع والحمد لله»[3].

---

(1) الورقة [90/ ب]، وينظر الاستيعاب (3/ 1091).

(2) الورقة [90/ ب]، وينظر الاستيعاب (3/ 1092).

(3) الورقة [21/ أ].

× **ترتيبه للأدلة، فيقدم في استدلاله القرآن الكريم ويثني بالسنة النبوية، ثم الآثار والأقوال،** كقوله في فصل الشواهد على صحة كرامات الأولياء: «انخراق العادة للأولياء من قبيل مجوِّزات العقول، ولا مانع يمنع من وقوعه وقد وقع، والدليل على وقوعه الكتاب والسنة والآثار...»[1] ثم يسترسل في عرض الأدلة مرتبة بحسب ما ذَكَر.

× **تنبيهه على اللاحق وإحالته على السابق بما يمكِّن القارئ من الجمع بين أطراف الموضوع الواحد،** مثاله: ذكر المؤلف في مناقب أبي بكر الصديق أنه أولُ من جمع القرآن، خَبَرَ مقتل القراء يوم اليمامة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، والذي فيه عرضُ عمر ابن الخطاب فكرة جمع القرآن على الخليفة أبي بكر رضي الله عنهما، والذي قَبِلها بعد اعتراضه عليها، ثم كان من زيد بن ثابت ما كان من أبي بكر قبل أن ينشرح صدره لما انشرح له صدره، ووقف المؤلف عند قول زيدٍ: ووجدت آخر سورة براءة مع خزيمة ابن ثابت ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنَ أَنفُسِكُمْ﴾[2]. والشاهد أن المؤلف قال: «وسيأتي تمام هذا الأثر في مناقب عثمان رضي الله تعالى عنه»[3]. وعند بداية ذكره منقبة جمعه للقرآن لعثمان رضي الله عنه قال: «وقد تقدم في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عند أمرِه بجمع القرآن أنَّ زيدَ بن ثابت تتبعه من الرقاع والعُسُب واللخاف وصدور الرجال، فاستقرّ تلك الصحف عند أبي بكر، رضي الله تعالى عنه، حتى مات، ثم كانت عند عمر، رضي الله تعالى عنه، حتى مات، ثم كانت عند حفصة رضي الله

---

(1) الورقة [8/ أ].

(2) سورة التوبة: الآية 129.

(3) الورقة [33/ أ].

تعالى عنها. فروى الزهري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن حذَيفةَ ابنَ اليمان...»[1] الحديث. وكثيرا ما ينبّه المؤلف أن هذا الخبر سيأتي في باب فلان من الصحابة، أو تقدم في باب آخر.

وقد يشير المؤلف إلى أن الأثر الذي يعرضه في مناقب أو كرامات هذا الصحابي فيه أيضا منقبةٌ أو كرامةٌ لصحابي آخر يأتي من بعد، فلا يعيد سوقَ ذلك الأثر بنصّه في الموضع الثاني بل يختصر الكلام اختصاراً، ومثاله قوله في مناقب عمر رضي الله عنه: «وقد تقدمت له رضي الله تعالى عنه مناقب مشتركة مع أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، في باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه؛ كمنقبة وِزَارتِه للنبي ﷺ، ومنقبةِ صَدَقَتِه بِنِصْفِ ماله، ومنقبة سيادته لكهول الجنّة، ومنقبةِ أخذ النبيﷺ، بيدِهما وهو بينهما وقال: هكذا نُبعث يوم القيام، ومنقبة أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، ومنقبةِ هذان السمع والبصر، ومنقبةِ اقتدوا باللذين من بعدي، وغيرها، وذلك مغنٍ عن إعادته هنا»[2]. ونَحْوُ هذا قوله في بداية ذكر فضائل عمر، رضي الله تعالى عنه، ومناقبه التي خرجت مخرج الكرامات: «وقد تقدم إيراد جميع ذلك في فصل كرامات أبي بكر، رضي الله تعالى عنه، بما يغني عن إعادته هنا والحمد لله. وكان من كراماته رضي الله تعالى عنه ـ يقصد عمر بن الخطاب ـ ما تقدم إيراده في فصل مناقبه قبل هذا؛ من سماعه من النبي ﷺ جواب ما خطر بباله ساعة خطر فكان ذلك من دواعي إسلامه...»[3].

---

(1) الورقة [77/ ب].

(2) الورقة [62].

(3) الورقة [63/ أ].

×**حكايته ألفاظ الروايات وذكره لطرقها المتعددة**، وهذا ما يلمسه متصفح الكتاب، فأما تعدّدُ الطرق فتكررت في الكتاب عبارة «**وفي رواية أخرى**» بصورة ملفتة للانتباه، وربما يجدها القارئ في أثناء الحديث مرات[1]. أما حكاية المؤلف لألفاظ الرواية، فمنه قول في مناقب أبي بكر ﷺ: «فروي عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ، قال: «ما نفعنا مالٌ ما نفعنا مال أبي بكر». وفي رواية: «ما نفعني» في الموضعين.

ومن اهتمام المؤلف بذكر طرق الحديث أنه ذكر حديثا عن زيد بن أرقم في ورع أبي بكر، رضي الله عنهما، جاء فيه أن مملوكاً له أتاه بطعام من عند قوم كان قد مرّ عليهم في الجاهلية فَطَعِم منه أبو بكر قبل أن يسأله من أين أتى به كما هي عادتُه، فلما أَعْلَمه المملوكُ بمصدر الطعام قال الصديق ﷺ: «أفٍّ لك لقد كدت تَهلكني...» الحديث ـ وقد أخرجه أبو نعيم من طريق زيد بن الأرقم ـ فبعد سرد المؤلف لهذا الحديث بتمامه قال: وقد أخرج البخاريُ، رحمه الله تعالى، هذا الحديث من طريق عائشة رضي الله تعالى عنها.

× **الجمع بين مُخْرَجَي المتن الواحد في سياق واحد، أو ما يصطلح عليه بالإسناد الجمعي**؛ إذ يعمد المؤلف أحيانا إلى حديث خَرَج من طريقين، فيعطفهما ويقتصر بإيراد متن واحد، مثاله قوله: «كما روي عن أنس بن مالك وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ، أنه قال: «أبو بكر وعمرُ سيدا كُهول أهل الجنة»، ونحو هذا قوله: وروى بريدة وأبو هريرة وجابر والبراء وزيد بن أرقم وابن عباس وابن مسعود وأنس بن مالك، رضي الله تعالى عنهم، كل واحد منهم عن النبي ﷺ،

---

(1) الورقة [34/ أ].

أنه قال يوم غَدير خُمٍ: «من كنت مولاه فعلي مولاه». وبهذا السياق ذكره ابن عبد البر في استيعابه[1]. لكن المؤلف زاد بعد ذلك بذكر حديث أكثرهم مفردا.

وقد يترك المؤلف طريقة الجمع تلك مشيراً إلى أن هذا الأثر مروي من مَخْرجٍ آخر لفظاً ومعنىً، مثاله ما ذكره عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما استطعنا أن نصلي [عند الكعبة] ظاهرين حتى أسلم عمر»، قال المؤلف: وعن سعد، رضي الله تعالى عنه، لفظاً ومعنىً. **وربما يذكر المؤلف الحديث من رواية صحابي جليل، ثم يشير إلى كون هذا الحديث رواه جمع من الصحابة**، ومثاله قوله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الرّاية رجلا يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُه»[2]، فقد ساقه المؤلف من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ثم لما أراد سوقه في موضع آخر قال: «كما تقدم في حديث سعد، رضي الله تعالى عنه، حين ذكر الراية، وقد رَوَى حديثَ الراية أبو هريرة، وسهل بن سعد، وبُريد الأسلمي، وأبو سعيد الخُدْري، وعبد الله بن عمر، وعمران بن حصين، وسلمة ابن الأكوع، رضي الله تعالى عنهم، بمعنى حديث سعد، رضي الله تعالى عنه»[3].

× **ذكر المؤلف بعض الحوادث القريبة العهد من عصره للدلالة على عِظم ما قام به صحابة رسول الله ﷺ** ـ وخاصة الخلفاء الأربعة ـ **ويشهد بكون فعلهم ذلك من المناقب العظمى**، وأَسُوقُ هنا الحادثتين اللتين ذكرهما عند حديثه عن منقبة جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه للقرآن وتكلميه لما كان شرع فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(1) الورقة [92/ ب]، وينظر الاستيعاب(3/ 1099).

(2) الورقة [91/ أ].

(3) الورقة [91/ ب].

◄ **أما الحادثة الأولى فهي قول المؤلف**: «تحدث يونس بن عبد الله بن مغيث[1] بقصة القرشي المقرئ بقرطبة؛ أحد ثلاثة مقرئين كانوا بها، كيف شاعت عنه غلطتُه في تنوين الفعل الذي هو «تحيدُ»، وقَصدَ الفاضلُ العالم يحيى بن مجاهد الإلبيري[2] من بلده إليه من أجل ذلك، وكان بينهما وُدٌّ وصداقة. فقال له عند قدومه عليه: طال عهدي بتجويد القرآن وتحسين الأداء، فأنا أريد تجديد العهد بذلك عليك. فأجابه القرشي. فقال: أَبدأُ بالمهمِّ المتكرر في الصلوات؛ وذلك المفَصَّل، فأجابه إلى ذلك، فلما بلغ من سورة «ق» إلى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ﴾[3] أظهر ترك التنوين، وتخفيف الواو العاطفة، فردّ عليه القرشي مُدغما للتنوين بشدّ الواو هكذا: (تحيد وَّنفخ) فوقف يحيى بنُ مجاهد وقال: ما هذا؟ قال: هو ذا. قال: هذا خطأ. قال: بل هو صواب. قال يحيى بن مجاهد: فَلْتعلم أن سببَ قدومي عليكَ هو شناعةُ ما شاعَ من ذلك عنك، وإنما أُتيتَ من قلَّة علمك بالنحو، فإن هذا فعلٌ، والأفعال لا يدخلها التنوين. فتحيّر القرشي ولم يقنع، فقال له ابنُ مجاهد: بيننا المصاحف، فاستحضروا منها ما أثلج صدره بالصواب، وردَّه إلى الحق»[4].

---

(1) هو أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث القرطبي، يعرف بابن الصَّفّار: كان قاضيا، وزيرا، محدثا، فقيها، أديبا، شاعرا، عابدا، خاشعا، زاهدا. سمع من ابن الأحمر، وابن الحذاء، وابن مجاهد، وابن زَرب، وهو من أكابر أصحابه. ألّف كتاب الموعب في تفسير الموطأ، وأكثر تواليفه في أخبار الزهّاد وباب الرقائق. توفي سنة (429هـ). ترجمته في: ترتيب المدارك(8/ 15)، والصلة لابن بشكوال(2/ 646)، وبغية الملتمس(ص512)، وسير أعلام النبلاء(17/ 569)، والديباج المذهب(2/ 356).

(2) هو أبو بكر يحيى بن مجاهد ابن عوانة الفزاري الأندلسي الإلبيري الزاهد، قال ابن الفرضي: عُني بعلم القراءات والتفسير، وأخذ نصيبا من الفقه وحجّ فسمع بمصر من أبي محمد بن الورد، وكان منقطع القرين في العبادة والزهد. وكانت وفاته في جمادي الأولى سنة (366هـ).

ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي(2/ 188)، وسير أعلام النبلاء (16/ 244)، ونفح الطيب (2/ 630).

(3) سورة (ق): الآية: 19 ـ 20 .

(4) الورقة [78/ أ].

➢ **وأما الحادثة الثاني** فهي قول المؤلف: «وتحدث محمد بن عمر بن لبانة[1] بعكس هذا عن فاجر أدركه بقرطبة أيضا يقال له: محمد بن يوسف بن مطروح الأعرج[2]، وكان يتولى الصلاة بجامعها قرطبة، وكان عديم الورع، قليل الصلاح، قرأ في خطبة الجمعة: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ بنونين، فلما انصرف أتوه، قال ابن لبابة: وكنا نأخذ عنه رأي مالك، فذكرنا له ما سُمعَ عنه، فَلَجَّ، فحاكموه إلى مصحفه، فدخل لينظر فيه، فلما رأى (عنتُّم) على الصواب، أَلْحق الفاجر نوناً. قال ابن لبابة: لقد خرج إلينا والنون لم يتمَّ جُفُوفُ مدادها». قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا قصده من إيراد هاتين الحادثتين: «فانظر عِظَمَ فائدة ما انتدبَ إليه هذا الإمام أمير المؤمنين عثمانُ بن عفان رضي الله تعالى عنه والفضلاء الأخيار من أصحاب نبينا ﷺ، ورضي عنهم، من جمعِ الناس على مصحف واحدٍ يُترك ما عسى أن يكون في آحاد المصاحف المتقدمة عنه له يبين لك قدر هذه المنقبة»[3].

قلت: روى ابن حزم الأندلسي الحادثين معا في كتابه الإحكام، وعلق عليهما بقوله: «فالأول ـ المقرئ القرشي ـ واهمٌ مغفلٌ، والثاني ـ ابن مطروح ـ: فاسقٌ خبيثٌ، فلولا كثرة المصاحف بأيدي الناس، لتشكّكَ كثير من الناس في مثل هذا إذا شاهدوه ممن

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة القرطبي، كان إماما في الفقه، مقدما على أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتوى، انفرد برئاستها أيام الناصر، وكان حافظا لأخبار الأندلس. روى عن عبد الأعلى ابن وهب، وأبان بن عيسى، ومحمد بن أحمد العتبي، وغيرهم. توفي سنة (314هـ). ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي (2/ 36)، وترتيب المدارك (5/ 153)، وجذوة المقتبس (71)، وبغية الملتمس(112) ، والعبر للذهبي(1/ 468)، والديباج المذهب (2/ 173 ـ 175).

(2) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطروح بن عبد الملك القرطبي، كان فقيها حافظا مبرزا. روى بالأندلس عن الغازي بن القيس، وعيسى بن دينار وغيرهما، ورحل فسمع من سحنون وأصبغ ومطرف وغيرهم، وكانت الفتوى دائرة عليه مع أصبغ بن خليل وعبد الأعلى بن وهب. روى عنه ابن لبابة وغيره، توفي سنة بالأندلس سنة (271هـ) ويقال: سنة(261هـ). ترجمته في: ترتيب المدارك (4/ 248)، والديباج المذهب(2/ 205)، وأخبار الفقهاء والمحدثين للخشني(116)، تاريخ ابن الفرضي (2/ 11).

(3) الورقة [78].

يظنون به خيرا أو علما، ولخَفِي الخطأ والتعمد، فمثل هذا تخويف عثمان ﷺ، ولقد عظمت منفعة فعله ذلك أحسن الله جزاءه»[1].

وذكر الإمام أبو إسحاق الشاطبي الواقعة الأولى في كتابه الاعتصام، فعلق عليها قائلا: «ويا ليت مسألتنا مثل هذه، ولكنهم، عفا الله عنهم، أَبَوْا الانقياد إلى الصواب»[2].

× سبق أن نقلنا عن المؤلف قوله: إنه جمع في كتابه من كرامات الصحابة ما وجده ووقف عليه، وهذا يعني أنه لا يستثني من ذلك شيئا، ولم يضع أمامه ضابطا غير ما نصّ عليه من أنه لن يذكر من الصحابة في كتابه من لم يقف له على كرامة، وهذا ما يفسر **إيراده لبعض تلك الكرامات ولو كانت من حكاية الكهنة وما شابه**، والمؤلف نفسه يقر بهذا عندما يقول في سياق كرامات عثمان بن عفان ﷺ: «وسواء كانت هذه المعرفة – يقصد معرفة عثمان بمصاهرته للنبي ﷺ، عن طريق خالته سُعْدى بنت كُريز وكانت كاهنة ـ عن قول كاهن أو جني أو صنم أو غير ذلك لا نبالي به؛ لأن الزمان كان زمان خرقِ عادة للنبي ﷺ». بل ويقف القارئ لكتاب السلك المثنى النِّظام على بعض الأحاديث - وهي قليلة ـ حكم عليها أهل النقد والصناعة الحديثية بالوضع، وأذكر من هذا القبيل مثالا واحدا وذلك ما ساقه المؤلف في كرامات علي ابن أبي طالب ﷺ، قال: روي عنه رضي الله تعالى عنه: خرجت مع رسول الله ذات يوم نمشي في طرقات المدينة إذ مررنا بنخل من نخلها فقالت: يا أختاه! هذا محمد المصطفى وعلي المرتضى، ثم جُزناها فصاحت ثانية بثالثة: موسى وأخوه هارون، ثم جزناها فصاحت رابعة بخامسة: هذا نوح وإبراهيم، ثم جزناها فصاحت سادسة

---

(1) الإحكام في أصول الأحكام(4/ 164).

(2) الاعتصام (2 / 351).

بسابعة: هذا محمد سيد المرسلين وهذا علي سيد الأوصياء، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «يا علي[إنما سمي] نخل المدينة صَيْحَانِياً لأنه صاح بفضلي وفضلك»[1].

فقد أخرج ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا الحديث في كتابه الموضوعات وقال: «وهذا من أبرد الموضوعات، وأقبحها، فلا رَعَى الله من عملَه، ولا نشك أنه من عمل الذراع» ـ هو أبو بكر أحمد بن نصر الذراع أحد رجال سند الحديث ـ ثم ذَكَّر بقول الدارقطني في الذراع فقال: «وقد ذكرنا عن الدارقطني أنه قال: هو دجال كذاب»[2].

وقال الحافظ شمس الدين الذهبي في الميزان في ترجمة الذراع وقد ذكر له وغيره: «هذا من إفك الذارع»[3].

وفي هذا الإطار يشار إلى أن المؤلف يَعُدُّ من كرامات الصحابة، رضي الله عنهم، ما اعتبره هو معرفتهم بالغيب واطلاعهم على الأمور المستقبلية، ومراده بهذا ليس المعنى الخاص للغيب الذي لا يعلمه إلا الباري عز وجل، فهو يسوق في هذا كثيرا مما بشّر به رسول الله ﷺ، صحابتَه الكرام أو حتى ما كان من آياته، صلى الله عليه وسلم، ومعجزاته، ويتعلَّل لهذا بمثل قوله: «...وغير ذلك من العجائب والآيات، فهي للنبيﷺ، آيات، ولعلي رضي الله تعالى عنه كراماتٌ»[4]، وهذا في سياق كرامات عليّ رضي الله عنه، مما يدل ـ حسب المؤلف دائما ـ بمعرفة الصحابي ما يستقبل من الأمور الغيبية. ومثل هذا قوله: «وهذا وإن كان شيئا ألقاه رسول الله ﷺ فلا يخرج ذلك أن يكون كرامة؛ لأنه علمٌ بمستقبلٍ على ما وقع عليه بطريق تحقيق»[5].

---

(1) الورقة [106/ ب].

(2) كتاب الموضوعات الكبرى(2/ 140).

(3) ميزان الاعتدال في نقد الرجال(1/ 308).

(4) الورقة [110/ أ].

(5) الورقة [112/ ب].

ويدخل المؤلف في هذا ـ إضافة إلى ما تقدم على لسانه ـ شيئا من أخبار الكهان والهواتف والجان. ويلاحظ في هذا كثرة تدخله بالاستنتاج والتعليق الوجيز على ما يذكر.

× **اختصار المؤلف أحيانا للأحاديث الطوال مبينا ذلك بقوله: وذكر بقية الحديث بطوله**[1].

× **سرده للأقوال المختلفة في القضية الواحدة وإن تعددت**، كما في سبب وفاة أبي بكر الصديق حيث ذكر أربعة أقوال، وفي حين وفاته خمسة أقوال. وفعل نحو هذا عند ذكره لوقت وفاة عمر ﷺ، قال: «اختلف في وقت وفاته على ثلاثة أقوال»، وبعده قال أيضا في السِّنِّ التي توفي عليها عمر ﷺ: «واختلف يوم مات على ثمانية أقوال»[2].

وبالمقابل قد ينص المؤلف على الاتفاق الحاصل على بعض الأقوال، كقوله: «ولم يختلفوا في أنه - يقصد أبا بكر ـ توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأنه استوفى بخلافته بعد رسول الله ﷺ سنّ رسول الله ﷺ، التي توفاه الله بها إلا ما لا يصح».

× **تنبيهه ـ أحيانا ـ على القول الصحيح أو الأصح، ومثاله كلامه المتقدم في ذكر سِنِّ أبي بكر** ﷺ، ونحوُه قوله في سِنِّ عمر بن الخطاب ﷺ: «ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ سنُّ رسول الله ﷺ والصديق رضي الله تعالى عنه في **أصح أقوالٍ ثمانية** في ذلك سنأتي بها إن شاء الله»[3]. ومثال **تنبيهه المؤلف على أن الرواية لا تصح**: قوله في صفة عمر ﷺ: «وكان رضي الله تعالى عنه أبيضَ أمهقَ، تعلوه حمرةٌ، طُوالاً أصلعَ

---

(1) الورقة [73/ أ].

(2) الورقة [74].

(3) الورقة [48/ أ].

أَجْلَج، شديد حمرة العينين، في عارِضيه خِفَّة. وقيل: كان آدمَ شديدُ الأُدْمَة، كثُّ اللحية، أَعْسَرَ يخضب بالحِناء والكَتَم، هذا هو الأكثر في صفته، وقد **ضعفت رواية الصفة الأولى**[1].

قلت: صحح الحافظ ابن حجر سند ما جاء في صفة عمر من رواية أبي رجاء العطاردي التي خرجها عنه ابن أبي الدنيا. قال أبو رجاء: كان عمر طويلا جسيما أصلع أشعر شديد الحمرة كثير السَّبَلَة في أطرافها صُهُوبة وفي عارضيه خِفَّة[2].

× **عنايته بعلوم اللغة، وبناؤه بعض اجتهاداته عليها**، ويبرز هذا من خلال وقوفه عند بعض الألفاظ المشكلة، وبحثه في الجانب الصرفي، مثاله قول المؤلف في الفصل الأول في أسماء أبي بكر الصديق: «العرب تقول لكل مُتَنَاهٍ في الخير: عتيقٌ، وسميت الكعبة البيت العتيق لذلك، وأبو بكر، رضي الله تعالى عنه، مُتناهٍ في الجَوْدةِ من كل وجه؛ نسبا وشرفا وكمالا وغير ذلك. فقد تكون تسميته بذلك لهذا المعنى»[3]. ومن نفس الموضع قولُه ـ رحمه الله ـ في«صدِّيق»: «وهذه البِنية؛ أعني فِعِّيلا هي للمبالغة، فَصِدِّيقٌ معناه كثير الصدق في القول والعمل، وتلك أعلى مراتب العباد إلى الله»[4].

× **تنبيهه على بعض استطراداته التي يجره الكلام إليها جراً دون قصد منه، وبالمقابل يبين في مواضع أخرى أنه لا يريد الإسهاب أكثر فيما يعرض**، فنجده يقول مثلا: «وقد خرجنا عما أردنا، وتغلغل بنا القول في الاعتبار الذي أوردناه، فالحديث ذو شجون فلنعد إلى ما كنا فيه من تلك الكرامات والفنون»[5]. ويقول: «وليس هذا موضع

(1) الورقة [49/أ].
(2) الإصابة في تمييز الصحابة(4/ 279).
(3) الورقة [22/أ].
(4) الورقة [22/ب].
(5) الورقة [41/ب].

إطناب في ذلك فلنقتصر على هذا القدر من تصميمه على قتالهم حين ارتد من ارتد منهم ومنع الزكاة من منعها»[1]. ونحوه قوله في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «وقد نرى أن نقتصر من معاليه التي لا يحاط بوصفها، رضي الله تعالى عنه، ونفعنا بمحبته، على هذا القدر معترفين بالعجز عن إحصائها»[2].

× **إيراده لبعض الأخبار والآثار وإن طالت إذا رأى أنها جامعةٌ لما يريد الحديث عنه، ومستوفيةٌ لغرضه الذي قصد إليه**، مثل قوله: «ونرى أن نأتي هنا بتأبين علي له ـ لأبي بكر ـ رضي الله تعالى عنهما وثنائه عليه بعد موته، لجمعه من مناقبه لما لا يوجد في غيره وحسن إيراده». ثم قال عند تمامه: «فانظر ما جمع هذا التأبين لمناقبه العلية كلها كأنه جمع تراجم ما سلف بسطه في هذا الفصل وزاد فيه لمن قد قصد الاستمتاع وعبرة»[3].

هذا ما تيسر لي استخراجه من منهج أبي محمد ابن القطان من خلال السفر الموجود من كتابه **السّلك المثنى النِّظام**، ولا شك أنه لو كان الكتاب موجودا بين أيدينا كاملا بجميع أجزائه لعَرَّفنا أكثر عن تفاصيل معالم منهجه فيه.

---

(1) الورقة [32/ ب].

(2) الورقة [35/ أ].

(3) الورقة [34/ أ ـ 35/ أ].

❀ نتائج وخلاصات

كثيرة هي النتائج الأصلية والتبعية التي خرجت بها من خلال قراءتي لكتاب السِّلك المثنى النّظام، وأكتفي هنا بذكر ما أراه مهما وجديرا بالعرض:

➢ **أولا**: أن أمراءَ المغرب وسلاطينَه كما هو شأن علمائه لم يدخروا يوما جهدا في حفظ المكانة التي بوأها الله عز وجل صحابة رسوله ﷺ، وهذا عهد وثيق، وميثاق غليظ، يقوم بحمله والوفاء به كل من ولي منهم أمرَ هذا القطر العزيز.

➢ **ثانيا**: أن أبا محمد الحسن ابن القطان من شيوخ وأعلام المغرب الكبار في السيرة النبوية العطرة؛ السيرة بالمفهوم العام الذي يشمل أخبار المبتدأ والسير والمغازي وسيرَ الصحابة وفضائلَهم ومناقبَهم وكراماتِهم، المتخصصين فيه، الضاربين في أعماقه، الكاشفين لأغواره وأسراره.

➢ **ثالثا**: أن كتابه السّلك المثنى النظام ـ على ما يتبين من سفره الأول الموجود بين أيدينا ـ من أوعب الكتب المؤلفة في الصحابة مادة، وأطرفها موضوعا، وأروعها سياقا، وأحسنها ترتيبا، وأجملها تبويبا.

➢ **رابعا**: أن كثيرا من أعلامنا المغاربة لم ينالوا منا حقهم من البحث كليا ولا جزئيا، ومن ثم فعلينا أداء هذا الواجب والقيام بهذا الفرض، بتنظيم ملتقيات وندوات تعرف بهم وبعلومهم، وأرى أبا محمد الحسن ابن القطان من هؤلاء الأعلام ومن أحقهم بذلك.

➢ **خامسا**: أن فتح المجال أمام الباحثين المبتدئين أمثالي سبيلٌ لتحقيق هذه الأماني وطريق إلى استحقاق البشرى والتهاني، وهنا أشكر بعد الله عز وجل من قدمني إلى هذا المقام لأول مرة أستاذي وشيخي الدكتور عبد اللطيف الجيلاني ـ حفظه الله وأنار دربه ـ.

وأختم بالشكر والدعاء الصالح لمن أسهم في هذه الندوة عامة، ثم أخص بالذكر الأستاذة نعيمة بنيعيش وفريقها المتكامل، فجزاهم الله عنا خير جزائه.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، واجعلنا منهم يا ربّ العالمين.

تم بحمد الله

فهرس المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطة:

- الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة، لأبي محمد الحسن بن علي ابن القطان المراكشي. نسخة جامع القرويين.
- السِّلْك المثنى النِّظَام بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام من الكرامات المكرمات العظام»، لأبي محمد الحسن بن علي ابن القطان المراكشي. نسخة الخزانة الحسنية، ونسخة جامع القرويين.

ب ـ المطبوعة:

- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي الظاهري، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى 1345هـ
- أخبار الفقهاء والمحدثين، لأبي عبد الله محمد بن حارث الخشني (ت361 أو 362هـ)، تحقيق: ماريا لويس أبيلا، ولويس مولينا، نشر المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، طبعة سنة 1992م.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض، للمقري (ت1041هـ)، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، 1398هـ/1978م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى 1412هـ
- الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، مصورة دار الكتب العلمية عن طبعة بلدة كلكتا.
- الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي(ت790هـ)، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر.

- الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الإعلام، للعباس بن إبراهيم، تحقيق عبدالوهاب ابن منصور.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة، يناير2005م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لابن عميرة الضبي(599هـ)، نشر دار الكاتب العربي،1387هـ/1967م.
- البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب ـ قسم الموحدين ـ، لابن عذاري المراكشي، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت، ومحمد زنيبر، وعبدالقادر زمامة، دار الثقافة، الطبعة الأولى 1406هـ ـ 1985م.
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لابن الفرضي (ت403هـ)، اعتناء السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية/ 1408هـ-1988م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام المؤرخ المحدث شمس الدين الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، لبنان ـ بيروت /1407هـ ـ 1987م.
- تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاة والفتيا)، لأبي الحسن النباهي (كان حيا سنة 792هـ)، نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- تاريخ المكتبات الإسلامية ومَن ألف في الكتب، لعبد الحي الكتاني(ت1382هـ)، ضبط وتعليق: أحمد شوقي بنبين وعبد القادر سعود، منشورات الخزانة الحسنية ـ المملكة المغربية، الطبعة الثانية 2005م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض (ت544هـ)، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الرباط.
- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي(مقدمة المحقق)، لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات (617هـ)، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الثانية1997م.

- التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله بن الأبار (ت658هـ)، تحقيق: عبدالسلام الهراس، دار المعرفة بالدار البيضاء.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس [وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه، والأدب، وذوي النباهة والشعر] لأبي عبد الله الحميدي (ت488هـ)، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- الخزانة العلمية بالمغرب لمحمد العابد الفاسي، مطبعة الرسالة، الرباط.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لبرهان الدين بن فرحون (ت799هـ)، تحقيق: الدكتور علي عمر، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ، 2003م.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبدالملك المراكشي (ت 703هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت. وتحقيق: الدكتور محمد ابن شريفة، نشر أكاديمية المملكة المغربية، طبعة سنة1984م.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت748هـ)، تحقيق: جماعة من أهل العلم بإشراف شعيب الأناؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة العاشرة 1414هـ/1994م.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت261هـ)، نشر مكتبة الرشد، الرياض، طبعة سنة 1422هـ/2001م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت578هـ)، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية 1414هـ/ 1994م.
- العبر في خبر من غبر، للذهبي (ت748هـ)، تحقيق: فؤاد سيد، نشر مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، سنة1984م.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري(ت734هـ)، تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين ميستو، مكتبة دار التراث، ودار ابن كثير، الطبعة الأولى1413هـ/1992م.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)، مصورة دار الفكر عن الطبعة السلفية.
- كتاب الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت360هـ). دراسة وتحقيق الدكتور عبدالله بن همر بن سليمان بن الميجي، دار الوطن ـ الرياض، الطبعة الثانية/1420هـ ـ 1999م
- كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل ابن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعةالرابعة/1405هـ
- موضوعات الصغاني، للحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني، تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، دار المامون للتراث ـ دمشق، الطبعة الثانية/1405هـ
- الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ)، تحقيق: الدكتور نور الدين بن شكري بن علي بوياجيلار، نشر أضواء السلف، الرياض الطبعة الأولى/1418هـ ـ1997م.
- المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها، لمحمد يسف، 1412هـ/1992م.
- معجم ما ألف عن الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت رضوان الله عنهم، لمحمد بن إبراهيم الشيباني.
- مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، طبعة سنة 2008م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (ت748هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة ببيروت، الطبعة الأولى/1382هـ ـ1963م.
- نظم الدرر الحسن الرهوني في ترجيز كتاب الإحكام من آي خير الأنام، تحقيق: خديجة أحمد البدوي، ورزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى 2010م.

- نظم الجمـان لترتيب مـا سلف من أخبار الزمـان، لابن القطان حسن بن علي ابن محمـد ابن عبدالملك الكتامي(منتصف القرن السابع الهجري، درسـه وقـدم له وحققـه: الدكتـور محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى/1990م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، لأحمد ابن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ)، تحقيـق الدكتـور إحـسان عبـاس نـشر دار صـادر ببيروت الطبعة الثانية/2004م.
- النكت على مقدمة ابن الصلاح، لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمـال الديـن عبـد الله ابن بهادر، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف ـ الرياض، الطبعـة: الأولى/1419هـ ـ 1998م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديبـاج لأحمـد بابـا التُّنبكـتي (ت1036هـ) اعتنـاء عبـد الحميـد عبـدالله الهرامـة، منـشورات كليـة الدعـوة الإسـلامية بطـرابلس الغـرب، الطبعـة الأولى/1409هـ ـ1989م.
- وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، تأليف: أبي العباس أحمـد بـن الخطيـب، دار النشر: دار الغـرب الإسـلامي ـ بـيروت ـ لبنـان ـ1404هـ ـ 1984م، الطبعـة الأولى، تحقيق: سليمـان العيد المحامي.